"فضيلة التقوى عند سقراط"

د/ محمود السيد مراد*

مقدمة

يستقر في أذهان الكثير من الباحثين صورة راسخة لسقراط تصوره على أنه مفجر فلسفة الأخلاق الأول في العالم اليوناني القديم ، وأن على يديه قد بدأت الفلسفة الخلقية في البزوغ ، وهي صورة لا تخلو ـ في حقيقة الأمر ـ من الصواب إلي حد كبير في رأينا . لكن شدة سطوعها في الأذهان جعلت جانباً أخر في فلسفة سقراط يبهت ضوءه فلا تميزه الأعين مع أنه يحتل مساحة لا باس بها من فكره، إنه الجانب الديني في فلسفة سقراط . لقد كان لسقراط موقف من الدين شديد التميز لا يقل عظمة بأي حال من الأحوال عن موقفه الأخلاقي ، ووردت العديد من الروايات التاريخية التي تثبت لسقراط هذا الموقف المتميز من الدين السائد في عصره لدي تلميذيه أفلاطون وكسينوفون وكذلك لدى الكثير من مؤرخي الفلسفة القدماء ، ولكن للأسف لم يتم التركيز على هذا الموقف بالقدر الذي يليق به.

نحن نعلم أنه قد حكم على سقراط بالاعدام عام ٣٩٩ق.م نتيجة لاتهامه بالإلحاد وابتداع آلهة جديدة وبافساد الشباب في أثينا،[1] لكن الرأي الذي يتفق عليه كثير من دراسي الفلسفة اليونانية عامة وفلسفة سقراط خاصة هو أن الأسباب الحقيقية التي كانت تقف وراء إعدام سقراط لم تكن أسباباً دينية بل كانت في حقيقة الأمر أسباباً أخري مختلفة نستطيع أن نبرزها في أربعة أسباب كما يلي :

<u>أولاً:</u> لقد أعدم سقراط لأسباب سياسية في المقام الأول ، حيث دخل في صراع دموي مع الديمقراطية الأثينية السائدة في عصره ، وكان لابد لهذا الصراع أن ينتهي بموت واختفاء أحد طرفيه لأنه صراع على البقاء . وكان لابد أن يسقط صريعا في هذه المعركة الطرف الأقل عدداً والأضعف ضجيجاً ، وليس الطرف الأضعف صوتاً والأبعد عن الحقيقة ، فسقط سقراط لكي تستمر الديمقراطية الأثينية قائمة على قدميها. لكن للعجب العجاب أن موت سقراط تبعه بعد فترة قصيرة موت واختفاء الديمقراطية الأثينية نفسها ، وكأن هذا النظام باعدامه لسقراط قد جر نقمة الحياة على نفسه. ولم يكن سقراط ولا النظام الديمقراطي الأثيني نفسه يعلم أنه لولا الديمقراطية لما وُجد سقراط ، والديمقراطية من ناحيتها لم تكن تعلم أن موت سقراط هو في حد ذاته قضاء عليها هي نفسها. لذا يمكن القول أن الديمقراطية قد جنت على نفسها عندما أفسحت المجال للجدل السقراطي ، فقد كاد هذا الجدل أن يقضي عليها ، وجنت على نفسها أشد بالتخلص من مفجر هذا الجدل .

---

* - أستاذ مساعد بكلية الآداب بسوهاج

[1] - لمطالعة نص الإتهامات أنظر : - Xenophon: Memorabilia of Socrates, Trans by: R. J. S. Watson, in :"Socrates Discourse" J.M. Dent &scn ltd, London, 1951, B1, ch.1, 1, p.1.

لـم يكـن سقراط راضيا عن أوضاع أثينا المتردية في نهاية القرن الخامس قبل المـيلاد، غمـه كثيـراً ما كانت أثينا الديمقراطية آخذة فيه من التوسع الإمبراطوري والاشـتباك في حروب توسعية مع المدن الأخرى ، وما فعلته سياسة الديمقراطية من إفـساح المجال لحرية الأفراد في الحديث عن كل شيء رغم عدم جدارتهم لهذا . كان قلـب سقراط يحن إلي مجد أثينا القديم في ظل ابطالها الأرستقراطيين القدماء ،[2] كان مـثله الأعلـى الـسياسي هو الحكم الملكي بواسطة الشخص الذي يعرف (الحكيم) ، ولابد أن معاصريه قد رأوا في ذلك ردة إلي الملكية بشكلها المطلق ، وقد كان الدفاع عن الحكم الملكي يضع صاحبه كلية في موقف الاعتراض على نظام المدينة وبالتالي كـان خروجاً علي المألوف بل وعملاً مشبوهاً يجلب المتاعب العظيمة على صاحبه. لقد اتفق الأثينيون على أن المواطنين ينبغي أن يحكموا مدينتهم بأنفسهم ، وما كانوا ليرضـوا أبـدا عـن أي نظام غير هذا.[3] وهناك الكثير من المواقف التي يسجل فيها المؤرخون معارضة سقراط الشديدة للديمقراطية منها ما ذكره ديوجين لايرتوس من رفـض سقراط أن يذعن لكريتياس وحلفائه عندما أمروه باحضار الثري ليونLeon ليمـثل أمـامهم من أجل محاكمته ، وكذلك واقعة أنه الوحيد الذي صوت على تبرئة القـادة العشرة.[4] كما انتقد سقراط أيضا عملية اختيار الحكام برمي القرعة ، وهذا ما جعـل الكثيرين يميلون إلي اعتبار ذلك هجوما على نظام المدينة الدولة نفسه . إذن كانت الدوافع الحقيقية وراء الاتهام دوافع سياسية ، ولما كان العفو العام الذي أعلن عنه بعد تجديد الديمقراطية لا يجيز اقامة اتهام على أساس من هذه الدوافع فقد جاء اتهام سقراط مغلفاً ظاهرياً بغلاف ديني .[5] بل هناك من يرى أن اللامبالاة التي أبداها سـقراط ازاء مـصير العامـل الأجيـر في "أوطيفرون" والذي تم قتله على يد والد أوطيفـرون ، فلم يهتم سقراط في المحاورة به ولا حتى بالسؤال عن اسمه قد أذهلت معاصـريه كمـا أزهلـتهم لامبالاته تجاه مصير الأجراء في عامي ٤١١، ٤٠٤ق.م واسـتنتج معاصـروه مـن ذلـك إفـتقاده لمشاعر العطف، وأن ذلك يعكس ازدرائه للديمقراطية ، ولعل هذا يفسر بقاء سقراط بالمدينة تحت حكم الدكتاتورية وعدم قيامه بأي دور لاستعادة الديمقراطية.[6]

إنهـا أفكـار سـقراط الـسياسية وليـست الدينية التي جلبت عليه هذا المصير المـشؤوم، وليـست الاتهامات الثلاثة التي كيلت إليه سوى محاولة لتشتيت الانتباه بعـيداً عـن الأسباب الحقيقية . بل أن الطابع الديني للمحاكمة لايمكن فهمه إلا على

---

2 - د/ أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان ، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٤٢.

3 - أي. أف. ستون: محاكمة سقراط، ترجمة: نسيم مجلي، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلي للثقافة ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٢، ص ٢٥- ص٢٦.

4 - Diogenes Laertius: Lives of Eminent Philosophers, Trans by: R.D.Hicks,1972 Vol.1,11, 24, p. 155.

5 - ثيوكاريس كيسيديس: سقراط، تعريب طلال سهيل، دار الفارابي ، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٧٤.

6 - أي. أف. ستون : المرجع السابق، ص ١٧٧.

أضواء سياسية ؛ فتهمة الإلحاد لم تكن لتنتهي بسقراط إلي الإعدام ، فكثيراً ما أنكر الفلاسفة وجود الآلهة اليونانية وتشككوا فيها ووجهوا نقدهم للأساطير الأولمبية بشكل يفوق ما نُسب لسقراط قوة وجلبة ومع ذلك لم يتعرضوا لنفس مصير سقراط. يكمن جوهر المحاكمة في عدم مشاركة سقراط في إقامة الشعائر الدينية التي فرضتها الديمقراطية أصلا، في حين كانت الحكومة تركز بشدة علي اقامة الشعائر الدينية الوطنية ولم يكن يعنيها الاعتقاد فيها في ذاته ، وقد عُد عدم مشاركة سقراط في النهاية خيانة للديمقراطية وليس كفراً بالآلهة.[7] وسوف نرى ابان حديثنا عن الجانب التطبيقي للتقوى السقراطية أن هذا الاتهام لا أساس له من الصحة.

ثانياً: يُضاف إلي هذا سبب أخر يتمثل في دوافع شخصية ثارية إذ أن سقراط نفسه بجدله اليومي المتكرر في الساحات والأسواق مع رجال عصره البارزين من قادة وساسة وأدباء ، وفضحه على الملأ لتظاهرهم الكاذب بالحكمة قد خلق له أعداء شخصيين حقيقيين أخذوا يتحينون الفرص للإيقاع به لأجل التخلص من دليل كذبهم. وقد اشار ديوجين لآيرتوس نفسه إلي ذلك بقوله إن سقراط قد أضحى موضع حقد عظيم خاصة من هؤلاء الثلاثة الذين رفعوا عريضة الاتهام ضده ، فمن المؤكد أنه قد عامل أنيتوس هذه المعاملة الساخرة المتهكمة ، وأنه فعلا قد صور ذلك في محاورة مينون لأفلاطون (90a-95a) ، ولما كان أنيتوس هذا لم يستطع – كما يروي ديوجين – تحمل أن يغدو أضحوكة بواسطة سقراط فناصبه العداء. وكانت هذه المعاملة أيضا الحافز الذي دفع أرستوفانيس وأصدقائه للهجوم عليه ، وأسهم بعد ذلك في اقناع ميلتوس إلي أن يوجه لسقراط تهمة الإلحاد وافساد الشباب. لقد ثار أنتيوس غضباً لمصلحة الحرفيين والساسة ، وليقيون غضباً لمصلحة الخطباء ، وميلتوس لمصلحة الشعراء، لقد شعرت كل هذه الطبقات بالكراهية لسقراط.[8] وأشار سقراط نفسه في الدفاع (23E-24A) إلي أن المتهمين الثلاثة قد كانت لديهم دوافع مختلفة بعض الشيء تقف وراء تقديم اتهاماتهم : فلم يكن المحرض الرئيس وراء الاتهامات مؤلفها الظاهر للعيان ميلتوس، وإنما كان أنيتوس وهو رجل ذو تأثير سياسي عظيم في عصره، ويحمل كراهية متعصبة وغبية للسفسطائيين حسبما يروي أفلاطون نفسه (مينون 91c-92a)، وكان من السهل أن تمتد هذه الكراهية نفسها إلي سقراط خاصة في ضوء الافتراءات التي عمرت طويلاً ووردت في "السحب" لأرستوفانيس بأن سقراط أحد كبار السفسطائيين لذلك صف "جثري" ميلتوس بأنه "دُمية يمسك بخيوطها أنيتوس القوي" واعتبره بلانكيني Blankeney واحداً من صنائع أنيتوس ، واشار بيرنت إلي أن أنيتوس "عكف على استغلال تعصب ميلتوس

---

7 - د/ أميرة حلمي مطر : المرجع السابق، ص ١٤٣ .

8 - Diogenes Laertius: Op Cit, Vol.1, II, 38, p. 169.

9 - Th.C. Brickhouse & N.D. Smith: The Formal charges against Socrates, Journal of The History of Philosophy, 23, 4Oct.1985,p. 468.

الأعمى".[١٠] كما أشار ديوجين لآيرتوس إلي ذلك بقوله "وبوجه عام حدث بسبب شدة محاجاتـه أن وجهه إليه الناس لكماتها ومزقوا شعره ، وأنه كان لدى الشطر الأعظم مـن الناس موضع ازدراء وسخرية ، وقد تحمل هذه المعاملة الظالمة بصبر وجلد ، وكـان رده على الشخص الذي أبدى استغرابه الشديد من هدوء سقراط وصبره على ما يفعله به الناس من ركل بأقدامها أن قال "هل يتعين علي إذا ركلني حمار أن أتبع نفس طريقته ؟!"[١١] لقد استجوب سقراط بشكل متكرر مستمعيه ، وضعهم وجها لوجه أمـام مـشكلات الإنـسان الجوهـرية ، ولكنه أبداً لم يحلها ، فأثار الريبة والشعور بالـنقص ، كمـا أن المطالب التي طلبها خلقت في النفوس غضباً وكراهية له، وقد صـور هيبـياس ذلـك بقوله" إنك دائما يا سقراط ما تسخر من الأخرين ، تستجوب وتمـتحن كل شخص، ولكنك ترفض دائما أن تخرج نتيجة من عندك ، أو تدلي برأي حول أي شيء."[١٢]

ثالـثا: هناك سبب ثالث وراء المحاكمة هو أن العقلية الشعبية في أثينا قد خلطت بين سقراط والسفسطائيين خلطا كبيراً رغم الخطأ البين لذلك بحيث أنه لو حدث وكنت قد سالت أي أثيني عن السفسطائيين في عصره لعد لك سقراط على رأسهم. وبسبب هذا الخلـط كـان ميلـتوس والمـتحالفون معـه على يقين تام بأنهم قادرون على اقناع المحلفـين فـي المحكمة بأن سقراط ملحد ، إذ كان الكثير من الأثينيين يعتقدون هذا الاعـتقاد حول أي عدد من السفسطائيين وفلاسفة الطبيعة ، ومن ثم لما كانوا ميالين إلـي ألا يـروا فرقاً جوهرياً بين هؤلاء وسقراط كان من الطبيعي أن يقفز إلي العقل اتهـام كامـل بالإلحاد إليه ، واللعب على مثل هذا الفرض سوف تكون حيلة تكتيكية بارعـة حتى ولو كان المدعون أنفسهم لا يؤمنون به. إنهم كانوا سوف يفقدون سندا عظـيماً لـو أهملوا الاشارة إلي هذا الإفتراء.[١٣] وخير دليل على هذا الخلط مسرحية الـسحب لأرستوفانيس التي يظهر فيها سقراط باعتباره الشخصية المحورية وزعيم السفـسطائيين، وقـد ساد هذا الظن بين الأثينيين ، وإلا لما أورده أرستوفانيس في مسرحية له يشاهدها الجمهور وحوكم سقراط على هذا الأساس.[١٤]

رابعاً: والسبب الرابع والأخير يتمثل في أن عددا من الأثينيين اعتبروا سقراط مسئولاً مـسئولية مباشرة عن الجرائم التي ارتكبها تلميذاه ألقبيادس وكريتياس في حق أثينا الديمقـراطية ، فهـو يعلم الشباب الانحراف.[١٥]لقد اعتقد الأثينيون أن سقراط مسئول

---

10 - Ibid, p. 468.

11 - Diogenes Laertius: Op Cit, Vol.1, 11, 38, p151.

12 - Xenophon: Memorabilia of Socrates, B,1V, ch,4,9,p.133.

13 -Th.C. Brickhouse & N.D. Smith: The Formal charges against Socrates, p.476.

14 - ولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة /محاهد عبد المنعم، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٤،ص ١١٩.

15 - K. Jaspers: Socrates, Buddha, Confucius, Jesus Ed by: H. Arendt ,trans by: R. Manheim, A Harvest Book, New York, 1962,p. 11.

عــن افساد الشباب الأثيني لأنه يعلمهم اظهار العصيان والازدراء تجاه آبائهم (خاصة في المسائل الدينية) وهذا ما أكد عليه أسيخنيسAeschines بقوة متناهية ذاهباً إلي أن ســقراط حُكــم علــيه بالإعــدام بسبب كونه معلماً لكريتياس . ويرتكز بوليقراط Polycrates بقــوة علــى علاقات سقراط المزعومة مع ألقبيادس وكريتياس كمعلم لهما في الهجوم عليه . ومن المحتمل أن هذا الزعم يمثل مصدراً قوياً للكراهية تجاه سقراط في أثينا.[16]

فإذا كان متهمو سقراط الثلاثة قد غلفوا اتهامتهم له الثارية بغلاف من الخروج على الديانة الرسمية للمدينة فقد فعلوا ذلك عن ذكاء وخبث شديدين لأنهم يعرفون أن ديانة اليونان رغم كونها بعيدة عن كل دجماطيقية قد كانت تعاقب كل استهانة بالآلهة مــن خــلال مخالفة الطقوس الدينية ، حيث كان الاعتراف والعبادة لآلهة الدولة حقا واجــباً علــى المواطنــين لأن الآلهــة كانت في نظر الشعب الأثيني حارسة المدينة وكــنوزها المودعة في المعابد ، وكان يُعتقد أيضا أن الإيمان بالآلهة نفسها والعهود التــي تُعقــد لدى ذكرها كانت تنمي فيهم الشعور بالمساواة وتعزز ثقتهم المتبادلة.[17] ومــن ثــم فإن هناك دليلاً اضافيًا آخر على أن محاكمة سقراط تمت لأسباب سياسية وليــست دينــية بحــتة ، وهو أن دولة المدينة اليونانية كانت هي التي تحدد ــ عن طــريق التــشريع ــ الآلهــة التي تختصها بالعبادة والتبجيل، وكانت هي التي تنظم الطقــوس الدينــية والــشعائر التــي يلتزم بها المواطنون ، لقد كانت الديانة وظيفة اجتماعية أو مدنية، انعكاساً لطرق الحياة المحلية وتقاليدها، ومن ثم كان الإتهام بأن المرء غير مؤمن بآلهة المدينة جريمة سياسية عند الإغريق في المقام الأول.[18]

صــحيح أن هــذه الاتهامــات كانت افتراءات غير متسقة منطقياً ، ولكن شهرة سقراط بين الأثينيين السيئة هي التي جعلت الملك الأرجون يتأثر بها ، بل ويمكننا أن نفتــرض حتما أن المدعين قد شنوا إتهاماتهم على سقراط في الوقت الذي شنوه فيه بالذات (لاقبله ولا بعده) لأنهم شعروا بالثقة أن الملك الأرجون الحالي ــ وهو مسئول منــتخب ــ سوف يسلم باتهاماتهم هذه دون مقاومة، أو حتى تدخل من جانبه من أي نــوع. فضلا عن أن أنيتوس كان رجلاً ذا علاقات قوية ومتشعبة في أثينا آنذاك. فإذا كان الحال كهذا فلن يكون ذا أهمية لو أن واحداً أو أكثر من المدعين قد فطن إلي أن سقراط لا يمكن أن يكون ملحدا كامل الإلحاد وفي نفس الوقت يعتنق اعتقاداً واثقا في إشارته السماوية.[19] إذن حوكم سقراط لأسباب أخرى واتخذت الإتهامات الدينية مجرد ســتار يخفــي الأســباب الحقيقية للإعدام. وقد توسع العلماء في تصوير ذلك توسعا يجعلــنا نحــن من جانبنا نتوقف عند هذا الحد الذي ذكرناه. غير أن النقطة التي نود عرضــها هــنا باستفاضة كبيرة نقطة مكملة وليست مكررة لما توسع فيه الباحثون

---

16 -Th.C. Brickhouse & N.D. Smith: The Formal charges against Socrates, p. 465.

17 - ثيوكاريس كيسديس : المرجع السابق، ص ٢٧٧.

18 - أي . أف . ستون : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .

19 - Th.C. Brickhouse & N.D. Smith: The Formal charges ...., p. 478-p.479.

وتتمثل في أنه لو كان سقراط قد حوكم وحكم عليه بالإعدام لأسباب أخرى بعيدة عن الـدين، فلا شك أنه قد كانت لدى سقراط معتقداته الدينية الشخصية التي كان يؤمن بهـا، كان لديه مفهومه للتقوى ، صحيح أن هذا المفهوم قد اختلف في كثير أو قليل مع معتقدات معاصريه الدينية السائدة، لكنه كان معتقد ديني يؤمن به، فما تراه يكون هـذا المعـتقد؟ ما نود أن نتناوله في هذا البحث هو عقيدة سقراط الدينية التي كان يـؤمن بها واتخذها أعداؤه ذريعة للتخلص منه. ولن نزعم أننا في هذا البحث سوف نبـرئ سـقراط من تهمة الإلحاد التي رُمي بها لأن براءته منها واضحة للجميع وقد تكفل بالدفاع عنها تلاميذه ، ولكن ما نود كشفه هو الحيثيات التي على أساسها قامت هـذه البراءة، وتتمثل في مجموعة المعتقدات والأفكار الإيمانية التي اعتنقها سقراط على مدى حياته كلها.

لقـد كانت توجد إلي جانب نظرية سقراط الأخلاقية ذات العقلانية الطاغية والتي عدها سقراط المرشد الوحيد الجدير بالتصديق في الحياة ، نظرية أخرى دينية لا تقل عن الأولى قوة وفاعلية. واسهمت الخبرات الدينية التي عاشها سقراط والتي جمعت بين العقلانية والروحانية ــ كما يقول مارك ميكفران ــ في تحقيق الحياة المخطط لها لدى سقراط اسهاماً عظيماً.[٢٠] لم يكن سقراط كما سوف نرى في ثنايا البحث ملحداً أو لاأدريـا مـن أي نـوع ، ولـم تكن الإشارات الإيمانية الواردة لديه عن الموجودات العلـوية مجـرد أمـثلة للتهكم السقراطي كما يزعم البعض الذي يصمم على تصوير سـقراط في صورة المفكر الأخلاقي الخالص ، بل كانت تنم عن عقيدة دينية راسخة آمن بها سقراط والتزم على مدى حياته كلها.

فمـن أين إذن نستقي تعاليم هذه العقيدة؟ الواقع أننا نستقيها من عدد كبير من المصادر على رأسها محاورات أفلاطون في فترة الشباب ومذكرات كسينوفون تلميذي سـقراط ، إلـي جانب عدد من الروايات التاريخية الأخرى. فمثلا يتفق عدد كبير من الباحثين المحدثين[٢١] على ان محاورة "أوطيفرون" لأفلاطون تحمل في ثناياها ــ رغم أنها لا تنتهي عند تعريف محدد ونهائي للتقوى ــ مذهباً إيجابياً لسقراط حول التقوى والمـسائل الدينـية ، وذلك من خلال اسهامات سقراط الإيجابية في براهينها ، ومن خـلال الـتفاعل القوي لهذه البراهين مع البناء الدرامي الثري للمحاورة ، وما يوجد بيـنها وبين "الدفاع" من روابط ، كل هذا يدل على أنها ألفت كدفاع عن آراء سقراط الدينـية وأنها مصدر أساس لاستكشاف البعد الديني للفلسفة السقراطية.[٢٢] إنها واحد

---

20 - M. L. Mcphrran:' Socratic Reason and Socratic Revelation", Journal of the History Of Philosophy, 293, July 1991, p.345.

21 - من أمثال: Th. C. Brickhouse & N.D. Simth:Socrates on Trial, Princeton University Press, Princeton, 1989, p.91, A.Anderson: "Socratic Reasoning in The Euthyphro" Review of Metaphysics,,22,N.3,1969, p.461, M. L. Mcphrran: The Religion of Socrates, The Pennsylvania State Un- press, Pennsylvania, 1996, pp.30-34.

22 - M. L. Mcphrran: Op Cit, p. 30.

من دفوع أفلاطون عن سقراط، قرين مصاحب لمحاورة "الدفاع" يكشف عن وقائع التقوى السقراطية في مقابل الخلفية الخاصة بأوهام أوطيفرون الكاذبة بالمعرفة اليقينية بالأمور الدينية ، فسقراط وليس أوطفرون هو الذي يكون تقياً حقا فيها.[٢٣] وسوف نرى أن هناك فقرات كاملة في "أوطيفرون" تحمل بعض المعتقدات غير المتكلفة والصادقة حول طبيعة التقوى ينسبها الباحثون إلي سقراط التاريخي بإطمئنان شديد، وأدلتهم على ذلك أن هذه الفقرات قد تم فصلها عن اخفاقات أوطيفرون في الوصول إلي تعريف مقبول للتقوى، والأهم من ذلك أن سقراط نفسه يتخذ هنا دور القيادة في البرهان وبالتالي يحاول مساعدة "الخبير" المرتبك، وتقديمه للمساعدة سوف يكون شيئا محيراً لو لم يكن سقراط نفسه محيطا بالمفهوم الدقيق للتقوى ، والدليل الأخير أنه عندما يتعثر أوطيفرون فلا يكمل التعريف يقاطع بواسطة تشجيع سقراط وتسليمه الصريح بالعديد من الدعاوي المقدمة حول طبيعة التقوى.[٢٤]

يدور البحث الحالي حول ما كانت تمثله التقوي كفضيلة لدى سقراط ، ونستطيع أن نفصل بين جانبين إتسمت بهما التقوى السقراطية : جانب نظري عقلي وأخر تطبيقي عملي ، في الأول سوف نستعرض المعتقدات النظرية التي أمن بها سقراط حول الآلهة وافعالها وصفاتها ، وفي الثاني سوف نعرض لما قام به سقراط من تطبيق عملي سلوكي لهذه المعتقدات الدينية على جوانب حياته المختلفة.

أولا : الجانب النظري للتقوى

من أجل أن نتعرف على حقيقة المعتقدات الدينية التي أمن بها سقراط ينبغي أن نذكر في البداية أن الأقاصيص الخرافية عن مغامرات الآلهة ومشاجراتها المشينة أخلاقياً كانت الموروث الثقافي والديني الذي تربي عليه سقراط وأبناء جيله فتشرب سقراط كل هذه الأفكار في عقله . لقد سمع عن الآلهة التي كانت في قديم الزمان تتشاجر وتكذب وتسرق وتهبط في صورة بشرية تحمي أصدقائها وتنكل بأعداءها ، وشاهد بعينيه الاحتفالات الدينية ومواكب الأضاحي، ورأى تمثال أثينا الخشبي يُؤخذ لحمام سنوي في مياة البحر، والكعكة التي كانت تُقدم للأفعى المقدسة، ورأى الناس تقسم بالآلهة أيمانا مغلظة وسرعان ما تحنث في قسمها.[٢٥] رأى كل ذلك وتشربه إلي أن بدأت شخصيته في الظهور وعقله في النضوج فكان له موقفه العقدي من هذا التراث الديني ، موقف هاجم فيه ما لم يرقه فيه ، وابقى على ما راقه منه ، كما أضاف معتقدات جديدة من عنده رأها ضرورية من أجل سد الثغرات التي تركتها في العقيدة التقليدية هجماته النقدية على الدين.

إن سقراط عندما أخذ يناقش الناس حول الآلهة إندهش أيما إندهاش أن وجد

وقد أيد نفس هذا الرأي د/ زكي نجيب محمود في مقدمة ترجمة العربية للمحاورة ص ١١.

23 - Ibid, p. 34.

24 - Th. C. Brickhouse, & N.D. Smith: Socrates on Trial, p.91, N.41.

25 - كورا ميس : سقراط الرجل الذى جرؤ على السؤال، ترجمة/ محمد محمود ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦ ، ص ٢٨.

معظم أفكارهم ، مضطربة ومشوشة حول أمور التقوى والعبادة بل وحول الآلهة نفسها. فقدم لهم ـ من خلال حواراته ـ المفهوم النقي للإيمان ليحل محل ما لديهم من تشويش . وسوف نحاول هنا أن نقدم صورة التقوى السقراطية هذه، صورة قائمة على الشهادات التاريخية المعبرة عن سقراط المتدين ، عن رجل يتخذ الأوامر الصادرة إليه من صوت سماوي هادياً له في كافة الشئون، رجل كانت لديه رسالة شديدة الخصوصية كلفه بها الإله بأن يمارس التفلسف" لأن ممارسة ذلك (التفلسف) أمر قد صدر إلي بواسطة الإله من خلال النبوءة ، ومن خلال الأحلام ، وأيضا من خلال كل الوسائل الأخرى التي سيق وأمر من خلالها الإله أي شخص من قبل بأن يفعل أي شيء."[٢٦]

فإذا كنا نقرر أن لدى سقراط عقيدة دينية نظرية آمن بها في عقله وغمرت قلبه فماذا تكون لبنات هذه العقيدة؟ الواقع أنها كانت تضم لبنتين رئيستين هما: مفهوم سقراط للتقوى ، وتصوره لصفات الإله. وسوف نعرض لكليهما بشيء من الإيضاح:

١- مفهوم التقوى

على الرغم من أن محاورة أوطيفرون محاورة شديدة القصر ، وتمثل حديثا بسيطا بين سقراط وأوطيفرون العراف الديني ، إلا أنها تتضمن مفهوماً للتقوى اعتنقه سقراط رغم الخاتمة السلبية التي انتهت إليها المحاورة . مفهوم حدد سقراط فيه ما يعنيه بالتقوى، وما يعنيه ايضا بالفجور، وبحث فيه العلاقة المقبولة للعدالة بالتقوى. وسوف نستخلص هذا المفهوم من هذه المحاورة، ونؤيده ببعض الشهادات التاريخية المتعارف عليها الوارادة لدى كسينوفون، كما سوف نجد أنه مفهوم متناغم مع صورة سقراط التاريخية والمتفق عليها الباحثون.

نود أن نشير في بداية حديثنا إلي حقيقة هامة هي أن كلمة التقوي εὐσεβεια كانت لدى اليونان حاملا لمعني أوسع بكثير من معناها لدينا اليوم ، حيث كان يشمل: المحافظة على السلوك الديني القويم ومعرفة المطالب الطقوسية (وليس مجرد الاعتقاد فيها فقط) وصلة المرء بوالديه ووطنه والموتى ، وأن يحمل شعوراً بالخشية ـ بل وربما الرعب ـ من الآلهة . ومن ثم كان من الممكن أن يغدو المرء ضالاً بطرق عديدة مثل قطع الأشجار المقدسة ، أو الإساءة إلي أحد الوالدين. وفي عام ٤٣٠ ق.م سن الأثينيون قانون "تحريم الإساءة إلي المقدسات" والذي وسع من مجال جرائم الضلال لتشمل الرأي الديني الذي يحمل إساءة للآلهة من خلال الكتابات أو الأشعار.[٢٧] كان لدى سقراط مفهومه الشخصي للتقوى وأكبر دليل على ذلك أنه لم يُذكر أبداً في قرار الإتهام ـ ولا في المحاكمة نفسها ـ أنه قد أتى فعلاً صريحا لتدنيس المقدسات أو تحقير آلهة المدينة ، لقد حوكم سقراط من أجل أقواله وليس

---

26 - أفلاطون : الدفاع، ترجمة د/ عزت قرني، ضمن محاكمة سقراط ، دار النهضة العربية، القاهرة، ٣٣،١٩٧٣ج ص ١٥١.

27 - M. L. Mcphrran: The Religion of Socrates p. 29, N. 29.

لأي شـــيء فعلـــه ، إنـــه لم يُتهم أبداً بخرق أي قانون محدد من قوانين حماية ديانة المدينـــة أو مؤســـساتها ، ولو كان سقراط عرضة للمحاكمة من أجل ما نسميه نحن الإلحـــاد لـــتمت محاكمـــته قبل ذلك بربع قرن حين صوره أرستوفانيس في "السحب" منكراً لألوهية زيوس ويقول بألوهية الكاوؤس .[28] وقد روى كسينوفون أن سقراط في حـــواره مع أتيديموس قد أعلى من فضيلة التقوى واعتبرها الشعور الأعظم نبلاً بين كـــل المـــشاعر.[29] فلـــم يكن سقراط ملحداً ينكر وجود الآلهة بالجملة ، وإلا لقدم ذلك مـــتهموه للمحكمـــة وكـــسبوا ادانته بسهولة ، وإنما كان الإتهام قائماً على أنه غير مؤمن بآلهة المدينة فقط ، وليس الآلهة بوجه عام.

إنـــنا نستطيع من خلال القراءة المتأنية ل"أوطيفرون" أن نستخلص مفهوم سقراط الشخـــصي عـــن الـــتقوى، لكن الشيء الذي يدهشنا كثيراً أن سقراط يقوم هنا بقلب الهـــرم ؛ فبدلا من البدء بالتعريف يبدأ بتعيين خصائص التقوى ثم ينتقل بعد ذلك إلي التعريف، ورغم عجبنا هذا فسوف نتبع في عرضنا نفس طريقة سقراط إلتزاماً بأمانة العـــرض. حـــيث أكد سقراط في المقدمة على أنه لا توجد سوى صفة واحدة رئيسة للتقوى هي أنها صفة كلية وواحدة في المعنى.[30] ومعنى هذا أنه لا يوجد لدى سقراط ســـوى نـــوع واحد من التقوى، ومن ثم فلايوجد سوى نوع واحد من قانون الفضيلة يسري على كل من الآلهة والبشر، قانون أخلاقي كوني واحد خاص بالعدالة والتقوى علـــى الـــسواء. لـــذلك نجد سقراط ينكر في نفس هذا الموضع من المحاورة وجود عـــداوات بـــين الآلهة حول أمور العدالة والتقوى تلك العداوات التي كانت تكتظ بها الأســـاطير الدينية ودافع عنها أوطيفرون ، ويبدي سقراط بعض الظن في أن تكذيبه لهذه الخصومات بين الآلهة قد يكون السبب الذي يقف وراء اتهامه بالإلحاد.[31]

وقد استخلص مارك مكفران من كلام سقراط السابق أن سقراط كان لديه اعتقاد جـــازم بأن الآلهة كاملة العدالة والخيرية ، إنها لا تعرف أي خلافات أخلاقية بعضها مـــع الـــبعض .[32] لكن سقراط سرعان ما تنبه إلي نقطة هامة وهي: لو كانت التقوى مفهوماً عاماً وقانوناً أخلاقياً بهذا الشكل الذي يسري على البشر والآلهة على السواء ، فـــلا شـــك أن هذا يقودنا إلي صفة ثانية للتقوى، وهي صفة قدمها أوطيفرون في تعريفه الثاني للتقوى وسلم بها سقراط ألا وهي أن التقوى لابد أن تكون محبوبة من الآلهـــة ، وأن نقيـــضها (الفجور) لابد حتما أن يكون مكروها من الآلهة . وعلى ذلك ينتهـــي ســـقراط إلـــي أن الأشياء التقية في جملتها الشيء الوحيد المحبوب من كل

---

28 ـ أي. أف. ستون : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ـ ص ٢٣٢.

29 - Xenophon: Op Cit, B.4 ch.6, 2, p.141.

30 ـ أفلاطون : أوطيفرون، ترجمة د/ زكي نجيب محمود ، ضمن محاورات أفلاطون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، ١٩٦٦، ص١٧ .

31 ـ المصدر نفس ، ونفس الموضع والصفحة.

32 - M. L. Mcphrran: The Religion of Socrates, p. 38.

الآلهـــة، وأن ما تجمع كل الآلهة على كرهه فهو الفاجر .[٣٣] الأمر الذي يجعلنا ننسب هـــذه الصفة إلي سقراط أنها قد وردت على لسانه هو وليس على لسان أوطيفرون، كمـــا أنهـــا وردت فـــي صـــيغة الـــتعديل المقتـــرح بواسطته على التعريف المقترح بأوطيفرون ، وقد وافقه الأخير على هذا التعديل، ولا شك أن اتفاق الاثنين عليه دليل علـــى اعتـــناق بطل المحاورة نفسه له.[٣٤] وهناك شهادة تاريخية تؤكد على اعتناق ســـقراط لذلك الرأي، حيث ورد لدي كسينوفون نص يؤكد سقراط فيه على استحسان عملية تقديس الآلهة وإرضائها.[٣٥]

وهـــنا يستطرد سقراط في الحديث فيؤكد لأوطيفرون أن التقوى سمة جوهرية في الأفعـــال التقـــية وليـــست ناشئة نتيجة لحب الآلهة لهذه الأفعال، حيث يذهب إلي أن المـــرء لا يكـــون تقياً لأن الآلهة تحبه ، وإنما تحبه الآلهة لكونه تقياً، ومن ثم رفض الرأي المناصر لحرية الإرادة بطريقة ساذجة والذاهب إلي أن التقوى تعرف بالاعتماد على حب الآلهة، لصالح الرأي الذاهب إلي أن التقوى محبوبة من الآلهة لأنها تقوي، ومـــن هـــنا يُـــشكل الإنسان التقي عن طريق خاصية فيه مستقلة عن الإله، هي التي تفجـــر حـــب الآلهة استجابة لها . وهو رأي غير تقليدي تماما يقوض سلطة الآلهة بوصـــفها المـــشرعة الدينيين للبشر ، وبالتالي يقوض بقوة الأعراف القائمة اعتماداً علـــى هـــذه السلطة.[٣٦] ويجعل رأي سقراط السابق الفضيلة مستقلة تماما عن الآلهة واستحـــسانها أو استقباحها . ومن المؤكد أنه رأي تعارضا مع الافتراض الوارد لدى هوميروس الذاهب إلي أن القانون الأخلاقي لدى زيوس غير محبذ من الآلهة الأخرى . لقـــد جعل رأي سقراط هذا سلطة الأوامر الإلهية علينا تتبع بشكل كامل من السلطة الأخلاقـــية الـــسامية والمـــستقلة للفضائل وليس العكس . ومن ثم فإن سلطة الآلهة سلطة ثانوية حيث يتعين علينا أن نطيعها لأننا اكتشفنا أن لدينا مبرراً أخلاقياً مستقلاً لفعـــل ذلـــك .[٣٧] ولكن سقراط يضيف إلي رأيه السابق شيئاً أخر هو أن هذه الأفعال تكون أيضا في نفس الوقت عزيزة على الآلهة ربما لأسبابها هي الخاصة.[٣٨] لكن هذه الإضـــافة لا تعنى أن شيئاً يكون تقيا حتما لأن الآلهة تحبه، وإنما قد يكون كذلك ربما من أجل ذاته، أي من أجل مفرداته الخاصة بصرف النظر إن كانت الآلهة تحبه أم لا. وإن كان سقراط و أوطيفرون يتفقان على أن الآلهة بلا استثناء تحب ما تفترض أنه يكون تقياً ، وأن كان لا يترتب على ذلك طبعا أن كل ما تحبه الآلهة يكون تقياً.[٣٩]

---

33 - أفلاطون : أوطيفرون ، ص ١٩- ص ٢١.

34 - M. L. Mcphrran: The Religion of Socrates p..p.45 .

35 - Xenophon: Mem.., .B 1V, ch.3, 17, pp.130-131.

36 - M. L. Mcphrran: The Religion of Socrates, p.46 .

37 - C. D. C. Reeve: Socrates in the Apology, Hackett Publishing Company, Indianapolis 1989, p. 66.

38 - أفلاطون : أوطيفرون ، ١٠، ص ٢٥.

39 - A. Anderson: Op cit, p. 469.

إن ما يبرهن عليه سقراط في كلامه هو أن التقي من الممكن أن يعرف بأنه "المحبوب من الإله" فهناك قدر من التداخل بين الدائرتين ، وإن كانت دائرة المحبوب من الآلهة أوسع بكثير من دائرة التقي. إن العلاقة بين المفهومين على شاكلة علاقة النوع بالشيء ، ومن المؤكد أن أوطيفرون يدرك أن "محبوب من الآلهة" من المرجح أنها تغطي مجالاً أوسع بكثير من المجال الذي تغطيه "التقوى" وأنه لو كان هناك أي ارتباط مفاهيمي بينهما فيجب أن يكون ارتباط النوع بالشيء فقط .[40] ومن ثم فلا يوجد مبرر الاعتقاد في أن سقراط ألزم نفسه بالعمل على إظهار أن هاتين الفئتين غير متطابقتين في المدى . فسمة "المحبوب من الآلهة" تسري على نفس الأشياء التي تسري عليها صفة" التقي" وهذا ما يلمح إليه سقراط تلميحاً صريحا في نهاية برهانه بقوله " إنه يفطن إلي أن بإمكانه أن يوافق أوطيفرون على أن "التقي" و" محبوب من الآلهة" تنطبقان على الأشياء ذاتها.[41]

أما إذا سألنا عن الأسباب التي تجعل الآلهة جميعا تحب الأفعال التقية وتكره عكسها ، كانت الإجابة أنه لما كانت الآلهة حكيمة وعاقلة إلي حد هائل يفوق البشر فإنها تحب الأشياء التقية لأنها تدرك وتعرف بحمكتها الشاملة أن في هذه الأفعال سمات جديرة بحبها قد تخفى على الإدراك البشري ، فلا يمكن أن تكون تقوى فعل ما هي ما تقيم الآلهة عليه رضاها عنه ، وإنما تقيم رضاها عنه على أساس عقلاني . ومن ثم فإن هذه الصفات هي التي ينبغي أن تسهم في تعريف التقوى . ومن الممكن أن تكون الواقعة القائلة أن لدى الآلهة حباً عقلانياً لما يكون تقياً ملائمة لتعريف التقوى أكثر من ملائمة مبدأ الحب لذلك.[42] وقد استنتج مارك كوهين من ربط سقراط السابق للفعل التقي بالمحبوب من الإله مبدأ أخلاقياً إلزامياً لدى سقراط وهو أن على البشر أن يلتزموا بأفعال التقوى في سلوكهم لأنها أفعال مفروضة من سلطات أخلاقية إلهية علوية ، طالما أن وصف "تقي" تعرف عنده في المفردات الخاصة باستحسان سلطة إلهية علوية ، وأن حكمتها وعقلانيتها جزء مما يجعلها سلطات أخلاقية . وهو مبدأ أخلاقي سلطوي Authoritarian Ethical theory كما يصفه كوهين.[43]

فإذا ما انتقلنا من الخصائص إلي التعريف ، وحاولنا أن نبحث عن المفهوم الذي قدمه سقراط للتقوى كتعريف يأخذ به هو شخصياً، وجدنا أن هذا التعريف يبدأ بسؤال طرحه عما إذا كانت العدالة والتقوى متطابقتين أم أن الأفعال التقية مجرد فئة من الأفعال العادلة؟ وجاءت إجابة سقراط أن العدالة مفهوم أوسع بكثير من التقوى بشكل يجعل التقوى مجرد جزء من العدالة .[44] وترد دعوى مشابهة لذلك في محاورة

---

40 - Ibid, p.477.

41 - S. M. Cohen: "Socrates on the Definition of Piety: Euthyphro 10a-11B," The Philosophy of Socrates , Ed By: G. Vlastos, University of Notre dame press, Notre Dame , 1980, p. 171.

42 - Ibid, p. 171 .

43 - Ibid, 159.

44 - أفلاطون : أوطيفرون ، ١١ - ١٢، ص ٢٩ - ص ٣٠ .

جورجياس (507a5-b4) مما يمدنا بدليل أخر على أن سقراط هنا كان يعبر عن آرائه الشخصية الفعلية .[٤٥] "تماما مثلما يكون الخوف فئة من التقديس ، ولكن ليس كل ما نخافه نقدسه ، فدائرة الخوف أكبر من دائرة التقديس. وبالمثل حيثما تكون هناك عدالة لا تكون التقوى حاضرة بالضرورة ؛ لأن العدالة فكرة أوسع ، وليست التقوى سوى جزءاً منها ."[٤٦] فإذا كان وجود الخوف لا يستلزم بالضرورة التقديس ، ويكون الفردي جزءاً من العدد ، فإنه بنفس المقياس ليست التقوى سوى جزءاً فحسب من العدالة . التقديس هو ذلك الجزء من الخوف الذي نحمله نحو الآلهة ، ومن ثم فالتقوى هي ذلك الجزء من العدالة الذي نحمله نحو الآلهة ."[٤٧] وينتهي سقراط إلي أنه من الممكن أن توجد هناك أفعال عادلة وهي ليست تقية أو غير تقية . ومن ثم فإننا نتفق من مارك مكفران في رفضه رأي سكوت كالفن الذي كان يذهب فيه إلي أن سقراط يوحد بين التقوى والعدالة توحيداً كاملاً ويجعلهما دائرتين متطابقتين .[٤٨]

ويأخذ سقراط في الاقتراب من التعريف الصحيح فيعمل على تحديد فئة الأفعال العادلة التقية محاولا بذلك أن يصل إلي المفهوم، فيقرر وأوطيفرون يسلم معه بأن التقوى " هي ذلك الجزء من العدالة الذي ينصب على ما ينبغي أن نفعله في طاعتنا للآلهة."[٤٩] إنها ذلك الجزء من العدالة المنصب حول ما ينبغي أن يُفعل في علاقة البشر بالآلهة . ويستدل مارك مكفران من قول سقراط "أن أوطيفرون لو حدد ذلك الجزء من العدالة الذي تكونه التقوى فسوف يكون قادراً على أن يفهم بعد ذلك فهما جيداً ماذا تكونه التقوى"، وأنه عندما نجح في تحديده هناه سقراط على أنه "أجاد الحديث" وكذلك من واقعة أن سقراط هو الذي يدخل الرأي القائل "إن التقوى جزء من العدالة" ويدعي أنه يفعل ذلك مساعدة لعملية البحث التعريفي، وكذلك أيضا من واقعة أن سقراط يضع هذا الرأي دائما أمام أوطيفرون ويحافظ عليه على مدى المحاورة كلها بملا دحض من جانبه. يستدل من كل ذلك على صحة نسب هذا التعريف إلي سقراط.[٥٠] ويستبعد أن يكون سقراط قد قصد هنا تضليل أوطيفرون وإرباكه ، لأن سقراط لا يسعى عموما إلي التضليل لمجرد الاستمتاع البسيط ، ومن العسير أن نرى الحد العظيم الذي يكون لالتزام سقراط بهذا المفهوم للتقوى على مدى المحاورة كلها أنه مجرد عمل مرائي ، وليس له قيمة تعليمية.

ويشير مكفران إلي أدلة أخرى تؤيد هذه النسبة منها أن التعريف جاء عقب الفاصل الجدلي في المحاورة وهناك سمة مألوفة لأسلوب أفلاطون هي أن التصور

---

45 - Th. C. Brickhouse& N.D. Smith, Socrates on Trial, p91, N72.

46 أفلاطون : أوطيفرون ، ١٢و ، ص ٣٠ .

47 - F. Rosen: Piety and Justice in Plato's Euthyro" Philosophy,43,1968, pp. 113- 114.

48 - M. Mcphrran: Religion of Socrates, p. 49.

49 - Plato: Euthyphro, The Dialogs of Plato, trans by: M.A. Jowett, vol.1, Oxford, at the Clarendon press, London, 1953, 12e5-8 p. 394.

50 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety p. 285.

الايجابي يُقترح دائما عقب مثل هذه الفترات الفاصلة في المناقشة. وهناك دليل أخر على صحة النسبة يأتي من خارج "أوطيفرون" يوجد في محاورات : بروتاجوراس، و إقريطون٥٤، يتمثل في أنه لو كانت التقوى هي صورة العدالة المتعلقة بعلاقة البشر بالآلهة ، فإن هناك صورة أخرى للعدالة تنصب على علاقة البشر بعضهم بالبعض . ويُقترح هذا التقسيم للعدالة في المحاورات السابقة حيث يؤكد فيها على أن الإنسان يؤدي واجبه تجاه البشر عندما يسلك بشكل عادل ويؤدي واجبه تجاه الآلهة عندما يسلك بشكل تقي. وفي"بروتاجوراس يوحد سقراط بين العدالة والتقوى مؤكداً على أن الفرد عندما يكون عادلاً فإنه يكون تقياً.[٥١] وأخيرا يأتي الدليل من كسينوفون الذي يصور سقراط في صورة المحلل للسلوك المشروع قانوناً إلي فئتين فرعيتين حيث يعرف الأفراد الأتقياء بأنهم هؤلاء الذين يعرفون ما هو المشروع فيما يخص الآلهة، في المقابل ما يكون مشروعاً فيما يخص البشر.[٥٢]

إذن نظر سقراط إلي العدالة على أنها نوعين : العدالة الدنيوية (عدالة الإنسان مع الإنسان) والعدالة الإلهية (عدالة الإنسان مع الإله) ، واعتبر التقوى إنجازاً لتلك الأفعال التي يتعين علينا إنجازها وفقا للقوانين الضابطة للعلاقات بين البشر والآلهة ، أنها ذلك الجزء من العدالة الذي نخدم به الإله، أما الجزء الأخر منها فنخدم به صالح البشر على حد قول أوطيفرون في المحاورة ويوافقه عليه سقراط .[٥٣] ومن ثم يقترح سقراط في مفهومه السابق ــ كما يقول روسين ــ أن العدالة والتقوى روابط متينة تربط بين الآلهة والبشر .[٥٤] وتجدر الإشارة هنا إلي أن أرسطو يفعل ما فعله سقراط هنا وإن كان بطريقة عكسية فقد ربط في "الأخلاق النيقوماخية" بين عدم التقوى وبين عدم العدالة.[٥٥] إنه مفهوم يربط التقوى بالعدالة، فالتقوى لديه نوع من الخدمة التي نقدمها للآلهة. وهنا يستوضح سقراط معنى "الخدمة" حيث من العسير أن نطلق لفظ الخدمة حين نتحدث عن الآلهة بنفس المعنى الذي نطلقه حين نتحدث عن سائر الأشياء. ويرفض أن تكون خدمة موجهة لمنفعة الآلهة ، ولا لتقويم سلوكها كما تكون خدمة الجياد مثلا.[٥٦] فالآلهة لا تجني من خدماتنا لها ــ والتي تمثل التقوى ــ منفعة شخصية لها ، كما أن خدماتنا للآلهة لا تكون على سبيل المقايضة التجارية ، نعطيها قرابين وخدمات، و تعطينا في المقابل الهبات لأنها في هذه سوف تكون مقايضة مجحفة بالآلهة ، لأنها تعطينا كل الخيرات ، أما نحن فلا نعطيها شيئا مفيدا لها مقابل ذلك. لأن الآلهة أسمى وأعظم عن البشر فيما يتعلق بالمعرفة والقوة

---

[51]- أفلاطون : بروتاجوراس، ترجمة د/ محمد كمال الدين ، دار الكاتب العربي، القاهرة ، ١٩٦٧ ،٣٣١،ص ٦٨

[52] - Ibid, pp. 286-287.& M. L. Mcphrran : Religion Of Socrates p. 51.

[53]- أفلاطون : أوطيفرون ، ص ٣٠ .

[54] - F. Rosen: Piety and Justice, p. 109.

[55] - Aristotle : N E, Trans by: D. Ross, Great Books of the Wistren World,Vol.9, B1V, ch.3, 1122 a 5-7 p.365.

[56] -أفلاطون : أوطيفرون ، ص ٣٠ .

والكفاية الذاتية والسعادة، وبالتالي فلا يمكن للبشر ذوي القدرات المحدودة أن يضيفوا شيئاً من عندهم إلي الآلهة الأسمى.[٥٧]

وعلى ذلك فالتقوى هي ذلك الجزء من العدالة الذي يمثل خدمة البشر للآلهة على شاكلة الخطوات التي يتخذها الخدم نحو سادتهم ، أي خدمة الأدنى للأعلى من أجل إنجاز ذلك العمل عظيم الجلالة والذي من أجله ترغب الآلهة حتما في مساعدتنا .[٥٨] يخدم التقي الآلهة بإنجاز خدمة نيابة عنها بنفس الطريقة تقريبا التي ينوب بها خادم عن سيده في تأدية خدمة. وكما أن هدف الخادم في ذلك ليس الارتقاء بسيده بل تنفيذ رغبات السيد، فكذلك هدف التقي ليس الارتقاء بالآلهة ، وإنما تلبية رغباتها.[٥٩] ولا يرد تشبيه خدمتنا للآلهة بخدمة العبيد لسادتهم في "أوطيفرون" فقط بل يعزوه أفلاطون إلي سقراط في محاورات"فيدون"و"بارمنيدس"و"ألقبيادس الكبرى"[٦٠] ، ويفعل كسينوفون الأمر نفسه في المذكرات.[٦١]

عند هذه النقطة يلح سقراط على أوطيفرون أن يحدد نوعية هذه الأفعال عظيمة الجلالة التي نساعد (نخدم) بأفعالنا التقية الآلهة على إنجازها ، فيتهرب أوطيفرون من الإجابة فيكرر سقراط الطلب ثلاث مرات ، وهو أمر له دلالة ؛ ثم يتحسر سقراط على هذا التخاذل من جانب أوطيفرون في اللحظة التي كان فيها أشد ما يكون من التوصل إلي المفهوم الدقيق للتقوى.[٦٢] وقد وجد كثير من الباحثين في تحسره دليلاً على اعتناقه للتعريف السابق للتقوى بأنها "ذلك الجزء من العدالة الذي يمثل خدمة يقوم بها البشر للآلهة لمساعدتها في عملها ، وهو عمل ينتج نتيجة خيرة."[٦٣] ومما يؤيد اعتناق سقراط لهذا المفهوم أيضا أن سقراط هنا هو الذي يدخل الاقتراح القائل أن أوطيفرون قد عين (في الواقع) سمة من سمات التقوى . كما أن هذه الصيغة للمفهوم تُترك أيضا بلا دحض حتى نهاية المحاورة ، كما أنها صيغة تدخل مفهوم "خدمة بعمل ينتج شيئا طيبا "وهي فكرة أصيلة لدى سقراط ، وسمة مميزة لنظريته الغائية ولاستعمال التشبيهات الحرفية. هذا فضلا عن سقراط يؤكد في موضع تال أن هذا الحديث عن الخدمة المقدمة للآلهة ذا أهمية عظمى عنده ، ويحث أوطيفرون بشكل له دلالته على أن يعين طبيعة هذه الخدمة المقدمة للآلهة فيما لا يقل عن ست مرات حتى نهاية المحاورة.[٦٤] لقد كان سقراط عالماً إذن بما تكون عليه التقوى ،

---

57 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety, p. 287.

58 - Plato: Euth...., 13e- 14a. p. 396.

59 - Th. C. Brickhouse, & N. D. Smith: Socrates on trial, p. 92.

60 - أفلاطون : فيدون، ترجمة د/ عزت قرني، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة،١٩٧٥م٦٢-٦٣د، ص١٥١.

61 - Xenophon: Mem.B.1,ch. 4, 9,-12, p.26.

62 -أفلاطون : أوطيفرون، ص ٣٤.

63 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety, p. 289.& Religion of Socrates, p. 54.& Th. C. Brickhouse & N.D. Smith: Socrates on Trial , p. 92.

64 - M. L. Mcphrran: Religion of Socrates, pp. 45- 55.

وحاول أن يعطي أوطيفرون خيطاً في المحاورة فيلتقطه ويتوصل إلي التعريف الصحيح ، ولكنه فشل في التقاطه لأن الخيط الذي يقدم له كان عقيدة غريبة عليه — كما يقول فلاستوس — لأنه تصور يقول أن لدى الآلهة عملاً تنجزه ، عملا من الممكن للموجودات البشرية أن تساعدها فيه، وهو تصور غريب على الديانة اليونانية نفسها أصلا."[٦٥]

فإذا ما اعترض معترض علينا في ذلك بقوله : كيف ننسب إلي سقراط مفهوماً إيجابياً للتقوى مع أن سقراط نفسه لا يترك مناسبة إلا وأعلن فيها جهله بطبيعة كل الفضائل ، وهو إعلان لا يمكن اعتباره شيئا تهكمياً في مجمله خاصة في "الدفاع"؟ فإننا نرد عليه بأن إعلان سقراط جهله هذا لم يمنعه من أن يصرح بعدد من القناعات الأخلاقية مثل : أن الفضيلة مفيدة دائما لمالكها ، وأنها واحدة لدى الرجل والمرأة .. الخ ، فلو لم يكن لديه مفهوم للفضيلة فلن يكون لهذه القناعات أي أساس . إن إقرار سقراط بالجهل يعادل إنكار أنه يمتلك فهماً كاملاً بالفضيلة ، ولكنه لا يمثل إنكاراً أن لديه بعض التصورات (غير الكاملة بلا شك) عنها . ومن ثم فجهله المصرح به بحقيقة الفضيلة لا يضعف بأي حال من الأحوال رأينا بأن "أوطيفرون" تكشف عن جزء — على الأقل — من مفهوم سقراط للتقوى.[٦٦] وتتوقف "أوطيفرون" هنا دون أن تعين نوعية هذه الأعمال التي نخدم بها الآلهة ونساعدها على إنجاز أعمالها المجيدة التي تثمر ثماراً خيرة وتمثل مفهوم التقوى لدى سقراط. وتكتفي المحاورة بالقول ببساطة بأن التقوى هي أن نتعلم كيف نسر الآلهة في القول والعمل بالصلاة والقرابين.[٦٧] فهل ترك سقراط مفهومه ناقصاً بهذا الشكل الذي ورد في "أوطيفرون"؟؟

إذا كان "الآن" يؤكد على أن "أوطيفرون" لا تتضمن أن لدى سقراط مفهوماً ما للتقوى ، وأن أي محاولة لإيجاد تعريف مقنع لها تخفق لا محالة لأن سقراط لا يعتقد أن للتقوى إنتاجاً مثمراً ، في حين يقبل تشبيه أوطيفرون للتقوى بالمهارة ، ولا توجد مهارة لا تنتج ثماراً ، فكيف تكون التقوى مهارة ولا تثمر إنتاجاً؟؟[٦٨] فإننا نرد عليه بأن التصور الوارد فيها يتفق توافقاً واضحاً مع التصورات السقراطية الثابتة والقاطع بصحتها تاريخياً . كما أن سقراط في حقيقة موقفه يؤكد على أن التقوى تنتج نتائج مفيدة ، إذ على الأقل تتمثل ثمرتها في الارتقاء بفضيلة الإنسان ، بل ولن يكون للتشبيهات التي رسمها سقراط بشكل شائع بين الفضائل والمهارات أي معنى لو كانت المهارات تنتج ثماراً في حين لا تفعل الفضائل. ومن ثم فكون أوطيفرون عاجزاً عن تعيين الثمرة الناتجة من التقوى لا يبرر الاستنتاج القائل إن سقراط لا يعتقد أن التقوى المهارة الخاصة بخدمة الآلهة خدمة صالحة ، وتثمر منفعة كلها جلال . وأخيراً فإن سقراط وليس أوطيفرون هو الذي يجعله أفلاطون يقدم هذا الرأي في

---

65 - G. Vlastos: Socrates, Cambridge University press, London, 1991 p. 175.

66 - Th. C. Brickhouse & N.D. Smith: Socrates on Trail , pp.94- 95.

67 - أفلاطون : أوطيفرون ، ص ٣٤.

68 - Th. C. Brickhouse & N.D. Smith: Socrates on Trial, p.93.

المحـــاورة مما يعني أن يبذل جهداً مخلصاً لبلوغ الحقيقة .[٦٩] ولكن رغم إيمان سقراط أن الـــرجل التقـــي نـــوع من الرجل الماهر الذي يستهدف إنتاج الثمار ذات المردود الجليل ، وبالتالي فإن مفهومه يختلف إلي حد ما عن الرأي الشائع عن التقي ، إلا أن هـــناك سمة هامة يشترك فيها المفهومان على الأقل : حيث أن كلاهما يؤكد على أن التقوى تتطلب من المرء أن يسعى إلي مساعدة الآلهة في انفاذ ما قدر بواسطتها.[٧٠]

الواقـــع أن إكمال المفهوم السقراطي يرد في محاورة أخرى هي "الدفاع" . حيث حـــدد ســـقراط نوعية هذه الخدمة التي نخدم بها الآلهة على تحقيق أفعالها الجليلة : بأنهـــا ممارســـة فعـــل التفلسف بالشكل الذي مارسه سقراط طوال حياته. فيه يوعي الـــناس بجهلها الشخصي ويحثها على إصلاح نفوسها والارتقاء الأخلاقي بسلوكها. وذلـــك من خلال السعي إلي معرفة المعاني الكلية للفضائل والعمل وفقاً لذلك . وأشار ســـقراط فـــي "الـــدفاع" إلي أن ممارسة التفلسف ضرورة مفروضة عليه لا يمكن أن يتخلـــى عنها حتى ولو كان الثمن المدفوع في ذلك حياته ، وذلك لأن هناك أمراً بذلك صـــدر إليه بواسطة النبوءات ، والرؤى والأحلام ، فضلا عن أن الإله قد صدق عليها ـــ وهي ذات جدارة أخلاقية سامية ـــ بفضل الدعوى الواردة في نبوءة دلفي بأنه " لا أحد أحكم منه".[٧١] وعلى ذلك فإن سقراط أدرك الخدمة التقية التي تريد الآلهة منه أن يؤديها ، وأدرك أنه ملزم بأن يتفلسف دون أي تراجع حتى عندما يكون هناك تهديدا مـــؤكدا لـــه بالمـــوت . وينبغي على قضاته أن يفطنوا إلي أن هذا "حق" وينبغي أن يعـــرفوا معـــرفة جـــيدة أنه يتفلسف تحت إملاء أمر إلهي.[٧٢] ويتفق هذا ـــ في رأي بـــريكهاوس ـــ اتفاقاً عظيماً مع ما يتحدث عنه سقراط بخصوص الأعمال الهيراقلية Heraclean Labors التـــي ينجزها من أجل وخدمة للإله. حيث يعلن في "الدفاع" أن أعماله قد كانت "خدمة من أجل الإله" رسالة في خدمته تستهدف إنتاج ما يكون مفيداً بـــشكل فعلـــي.[٧٣] وإن كان جويجوري فلاستوس يرى أن تشبيه سقراط للأعباء التي كـــان يتعين عليه أداؤها بأعباء هرقل يتجاهل الحقيقة القائلة أن هناك فارقاً جوهرياً بيـــنهما يتمثل في أن أعباء هرقل قد كانت عذاباً مفروضاً عليه بواسطة مشيئة هيرا المريـــضة ، فـــي حين أن أعباء سقراط قد كانت مصدراً للسعادة الأسمى الممكنة في الحياة ولسرور ورضاء الآلهة عنه.[٧٤]

لقـــد أكـــد "مـــارك مكفران" على هذا الارتباط القوي بين المحاورتين حول مفهوم الـــتقوى الـــسقراطي، وأن أفلاطون قصد أن تأتي "الدفاع" مكملة للمفهوم الوارد في "أوطيفرون" ، فالحبكة الدرامية وكذلك التعليقات الضمنية الواردة في كلتا المحاورتين

---

69 - Ibid, p. 93.

70 - Ibid, p. 99.

71 - أفلاطون : الدفاع ، ٢٠هـــ ، ص ١٢٥.

72 - M. L. Mcphrran: Socratic Reason..., p. 347.

73 - Th. C. Brickhouse &N. D. Smith, Socrates on Trial , p. 94.

74 - G. Vlastos: Op Cit, p. 175, N90.

تمتـــزجان معـــا لتقدما وصفا تاريخياً متكاملاً لسقراط . فنجد "الدفاع" تصور تصويراً رائعاً تفاصيل دقيقة لتقوى سقراط الذي يتمسك بالمعتقد الديني التقليدي وبطقوسه ، شـــخص لديه رسالة إلهية هي النتيجة المترتبة على التزام ورع باتباع أوامر الإله . وهـــي رســـالة خدمة للإله ومثمرة لثمار طيبة مثل الاتقاء بهؤلاء الذين يتم اقتناعهم بعملـــية الاعتناء بأنفسهم، وأن يفعلوا ما يكون صواباً.[٧٥] ويضيف مكفران في كتاب آخـــر له: أنه من الواضح أن أفلاطون (وكسينوفون) يؤكدا على البعد الديني لرسالة سقراط الفلسفية إلي الأثينيين لأجل التأكيد على ما لهذه الرسالة من تقوى كدفاع عنه ضـــد الاتهامات الموجهة إليه بالإلحاد.[٧٦] لقد كان سقراط مقتنعاً ببراءته ليس ببساطة لأنـــه تحاشـــى بـــشكل كبير الوسوسة ألا يسئ إلي أحد ، وإنما أيضا لأنه يعمل وفقاً لإمرة الإله. فإذا كان اعتقاده بأنه يرئ اعتقاد مقنع فمن المحتم أنه يؤمن بأن أفعاله متوافقة مع ما تقتضيه التقوى، فالإله يرغب منه أن يقوم بهذه الأفعال.[٧٧]

فـــإذا كانت التقوى تُفهم قديما بشكل تقليدي على أنها مسألة طقوسية تتمثل في معـــرفة كيفية الصلاة وتقديم القرابين، فإن التقوى عند سقراط فعل من أفعال العدالة نخـــدم به الآلهة على إنجاز أفعال تؤدي إلي ثمار خيرة . وجاءت "الدفاع" فحددت هذا الفعل بأنه نشر المعرفة بين الناس وتوعيتهم بجهلهم لكي يستيقظوا ويرتقوا بأنفسهم مما يعني أن سقراط يجعل التقوى متطابقة ـــ ومعها الفضائل الأخرى ـــ مع المعرفة . فمـــن المؤكد أن ما تنتجه الآلهة مستخدمة إيانا كخدم يجب أن يكون الحكمة طالما أنها هي التي تساوي الفضيلة ، وخادماً يمكنه أن ينتج المعرفة يمكنه بالتالي أن ينتج كـــل الخيـــرات الأخرى ، ومن ثم فإنه لن يكون فحسب مجرد التقي ، بل سوف يكون فاضـــلاً تمام الفضيلة.[٧٨] ولكن من الخطأ أن نعتقد مثلما اعتقد "ريفي" أن التقوى عند ســـقراط تمـــثل الفضيلة كلها . وذلك لأنها نوع من الفضيلة فقط، لأنها نوع فقط من المعـــرفة. صـــحيح أن جوهـــر الـــتقوى مماثل لجوهر الفضائل الأخرى ، إلا أنه من الممكـــن أن تُميز التقوى عنها بما لدى الشخص التقي من قصدية ، وكذلك بواسطة اهـــتمام التقي بما يكون فاضلاً أو شريراً فيما يخص الآلهة.[٧٩] إنه لن يكون ناقصا في الفـــضيلة طالمـــا أنـــه يعـــرف كل الأشياء الفاضلة ، والشاكلة التي عليها ، وكيفية الوصـــول إلـــيها ، ولـــن يكون شخص كهذا مقصراً في العدالة بسبب معرفته بكيفية الـــتعامل معاملـــة صحيحة بهذه الأمور ، وكيفية أخذ الاحتراسات الكاملة في تعاملاته مـــع الآلهـــة والبـــشر.[٨٠] ولذلك ولهذا الدور الهام للتقوى في الحياة الإنسانية يؤكد ســـقراط في حديثه عن التقوى على أهميتها العظيمة في الحياة البشرية ؛ حيث يؤكد

---

75 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety, p. 290.

76 - M. L. Mcphrran: Religion of Socrates, p. 55.

77 - Th. C. Brickhouse & N.D. Smith: Socrates on Trial, p. 90.

78 - C. D. C. Reeve: Op cit, PP. 64-65.

79 - M. L. Mcphrran: Religion Of Socrates, p. 63, N96.

80 - - C. D. C. Reeve: Op Cit, p. 65.

علـــى أن فـــي الـــتقوى خلاص الأسرات والدول ، كما أن دمارها وخرابها في العمل الفاجر الذي يغضب الآلهة .[٨١]

وبهـــذا الـــشكل كانت أفعال التقوى تمثل علاقة فاضلة بين البشر والآلهة، تعود بمـــنافع علـــى العابد وسرور على الآلهة. ولكن رغم كون المعرفة الكاملة واليقينية بالتقوى تحتم ضرورة معرفة كيف يمكن لأفعالنا التي نؤديها في الصلاة والقربان أن تكون خدمة للآلهة، وماذا فيها مسراً لها، إلا أن الإنسان لا يمكنه امتلاك معرفة بهذا الشمول أو اليقين ، إنه ليس حكيماً بل محب للحكمة، وينبغي أن يعترف بهذا القصور في حكمته.[٨٢] إننا في رأي سقراط لا يمكن أن نعرف شيئا أكثر من أنه عمل طيب أن نؤدي هذه الأعمال ، وهذه على وجه التحديد ــ كما يقرر مكفران ــ الإجابة التي كان ينبغـــي أن نتوقعها من سقراط الذي ينادي بأنه لا يملك أي معرفة بالأشياء أكثر من تلـــك الأشياء البشرية والتي توهب إليه بواسطة الإله، أما المعرفة الكاملة والمطلقة بـــذلك فهـــي امتـــياز خاص بالآلهة وحدها ، فهي وحدها التي تعرف ما الذي تكونه خدمـــتهم معـــرفة دقـــيقة ، أمـــا البشر فلا يسعهم سوى أن يقتربوا فحسب من هذه المعـــرفة.[٨٣] لـــذلك ميز سقراط بين المعرفة البشرية والمعرفة الإلهية ، فالأولي أدني مكانـــة بكثير فهي قاصرة على معرفة الشئون البشرية، ولا تمدد بالشكل الذي يجعلها تصل إلي فهم كامل ومعصوم بالأمور الإلهية، وبالتالي فهي لا تمتد لتشمل فهما كاملا ومعـــصوماً بتعـــريف الـــتقوى ، طالما أن مثل هذا الفهم سوف يتطلب معرفة كاملة ومعصومة بخدمة الآلهة والاجتهاد وراء مثل هذه المعرفة على أمل الامتلاك الحقيقي لهـــا أمر لا طائل منه . لذلك انتقد سقراط السفسطائيين وفلاسفة الطبيعة انتقاداً مراً لمحاولتهم أن يغدو "حكماء في حكمة تتجاوز القدرة البشرية."[٨٤]وهي محاولة قد اقلع هو نفسه عنها.[٨٥] لقد اعتبر أنه من الفجور افتراض أننا نحن البشر قد نمتلك الحكمة الإلهـــية علـــى نقـــيض الفهم الصحيح للتقوى. ومن هنا فإن نشاط سقراط التقي في "أوطيفـــرون" هـــو علـــى وجـــه التحديد أن يهاجم عدم التقوى الكامن وراء دعاوى أوطيفـــرون الـــوقحة التي تأخذ الأشياء الإلهية كموضوعات للمعرفة اليقينية الممكنة للبشر، ومصدراً متاحاً للتبرير الأخلاقي.[٨٦] كما أن المعنى الذي قصده سقراط بالخدمة والقائـــل أننا نكون خدما لسادة في موضع أسمى منا هو أننا غير قادرين على تعيين خدمـــتهم أو أن نقـــرر بـــأي قدر من الثقة نوعية الغاية النهائية التي تساعد خدمتنا الآلهـــة على بلوغها. ومهما يكن فإن سقراط يعين بوضوح النوعية التي تكون عليها

81- أفلاطون : أوطيفرون ، ص ٣٤ .

82 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety, pp. 291- 292.

83 - Ibid, p. 298, & M. L. Mcphrran: Religion of Socrates, p. 58.

84 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety, p. 301.

85 - أفلاطون: فايدروس، ترجمة د/ أميرة حلمي مطر ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٢٩هـــ ، ص ٤٣. وايضا : فيدون ، ٩٧، ص ٢٣٩.

86 - Ibid, p. 308.

الخطـوات العملية المرشدة لهذه الخدمة، وكذلك نوعية الخيرات التي تعود علينا من طاعتـنا لها. إذ يفهم هذه الخدمة على أنها تشمل الأفعال الخاصة بالتضحية والعبادة وعلى وجه الخصوص طاعة أوامر الآلهة.[٨٧]

وإذا كـان هـناك من يعترض على هذه القراءة لمفهوم التقوى السقراطي على أسـاس أنـه مـستحيل خدمة الآلهة من جانب البشر طالما أنها كاملة وخيرة بشكل مـسبق ، فلا يمكن أن يكون لديها أية غايات لا تزال تسعى إلي إشباعها.[٨٨] فإننا من الممكن أن نرد بالرد الذي قاله مارك مكفران من أنه اعتراض يشتمل على خلط شنيع بين ذوات الآلهة الكاملة وبين فعلها. فمع أن الآلهة كاملة في ذواتها بحيث أنها غير قابلة للارتقاء ، فإنه لا يمكن أن يُستنج من ذلك أنها لا تعمل ، وأنها قد وصلت سلفاً إلـي تحقيق كل رغباتها، حيث يظل ممكناً أنها من أجل مصلحتها المخططة قد تركت بعضا من غاياتها في دائرة الانتظار ، ولإتمام هذه الغايات من الممكن أن نكون نحن فـي وضع يسمح لنا أن نسهم فيه مثل "نفوسنا الفاضلة". فهناك إنتاج فاضل واحد لا يمكـن للآلهـة أن تنجزه بدون المساعدة البشرية : إنه النفوس الإنسانية الفاضلة . صـحيح أن الآلهة كان بامكانها إنجاز ذلك بمفردها لكنها تركته لنا لأسبابها الخاصة(قد تكون للإبقاء على حرية الإرادة البشرية ، أولجعل الحساب الأخروي أمراً منطقياً) وإن كانـت معـرفة هـذه الأسـباب الحقيقـية وراء ذلـك أمر يفوق قدرة الحكمة البـشرية.[٨٩]وقـد يوحي هذا بهجوم على الآلهة التي يؤمن بها سقراط نفسه : كيف تكـون آلهـة خيـرة تمام الخيرية كما يقول سقراط وتتركنا نحن البشر في مثل هذا الوضـع الأخلاقـي السيئ على أمل أن ينجح أحدنا في كشف هذا النقص ويعمل على علاجـه بمعونـتها؟ ألا ينم هذا عن سوء طوية لديها؟؟ كيف يستقيم وجود الشر في عالمنا مع وجود الآلهة الكاملة الخيرية ؟؟ لاشك أن سقراط كان سوف يرد على هذا النقد ــ كما يتصور مكفران ــ بالتأكيد على أن الآلهة لديها القدرة على أن تؤثر في بـناء نفوسـنا تأثيـراً جذرياً ، وقادرة على إنتاج نفوس كاملة المعرفة والفضيلة . ولكنها تركت نفوسنا ناقصة لأسباب تحتفظ بها لنفسها، وليس متاحا للحكمة البشرية فهمهـا. ولمـا كـنا لا نتوقع من سقراط أن يقدم إجابات عقلية جدلية في كل مسالة لاهوتـية فلا يمكننا أن نتوقع منه أن يخاطر برأي هنا اللهم إلا أن هذا قد يكون من أجل الأفضل، أو ناشئ من مملكة التغير.[٩٠]

وقد يُعترض أيضا على مفهوم سقراط بأنه لو كان إنجاز الخدمة يتضمن عبودية وجهلاً وخضوعاً كاملاً ، ألا يهدم هذا الإيمان بأن لدينا أي نوع من المعرفة بالتقوى، ثـم لو كانت هذه الخدمة تتمثل في الاعتناء بما في الحياة البشرية من خيرية ، فلن يكون هناك مبرر لاعتمادنا على الآلهة في تعريف التقوى . وكان سقراط سوف يرد

---

87 - Ibid, p. 305.

88- قال بهذا الاعتراض: جون بيرنت وآلان وفيرسيني أنظر :

- M. L. Mcphrran: Socratic piety, pp. 292- 293.

89 - Ibid, p. 293, N 40.

90- M. L. Mcphrran: Religion of Socrates, p. 68- 69.

أيضا على هذا الاعتراض ــ كما يتصور مكفران ــ بأن هذا التصور على وجه التحديد ما قصد هدمه لدى أوطيفرون ولدى الأثينيين جميعا، وهو اعتراض يتوافق تماما مع اعتراف سقراط الدائم بأنه ليست لديه معرفة (يقينية) بالأمور الإلهية ، وأنه إذا كانت خدمة الآلهة تتمثل في إقامة الخير في الكون ، فإنه يظل هناك احتمال قائم هو أن بعض المهام المتضمنة في مساعدة الآلهة لبلوغ هذه الغاية تتمثل ببساطة في عملية إتباع أوامر الآلهة دون معرفة مبرراتها ، وفي وضع كهذا فإن أي تصور واضح للتقوى ينبغي أن يتضمن اعتماداً على الآلهة .[٩١]

لن يستطيع أن يؤدي هذه الخدمة للآلهة سوى الإنسان التقي، فهو الوحيد الحكيم الذي يستطيع أن يرتقي بنفوس المحيطين به و بنفسه قبلهم حتى يصل بها إلي درجة الفضيلة وهي الغاية التي تستهدفها الآلهة وتركت لنا مهمة إنجازها . لقد كان هناك مبدأ أخلاقي يؤمن به سقراط بشكل شخصي واستبقاه في مفهومه هذا للتقوى ، وهو أن المرء بدون أن يكون لديه إدراك عقلي عام للتقوى ــ أي بدون أن يكون لديه إدراك وتطبيق في نفس الوقت لمثل أعلى نموذجي يستخدمه كمعيار أخلاقي يحتكم إليه في تقرير كل الأشياء التقية فلا يجب عليه أن ينخرط في أفعال يجلب عليه إنجازها خطراً عظيماً من الفجور وبالتالي الضرر.[٩٢] وهو مبدأ رفعه سقراط في وجه أوطيفرون لكي يثنيه عن اتهام أبيه بجريمة القتل طالما أنه لا يعلم علم اليقين طبيعة التقوى ، ورفعه كذلك في وجه قضاته طالما أنهم لا يعرفون حقيقة التقوى فكيف يحاكمونه هو أصلا على عقيدته الدينية . وربما قصد أفلاطون ذلك من خلال المناظرة التي رسمها في "أوطيفرون" بين سقراط ووالد أوطيفرون ، فكلاهما متشابهان في السن وفي المقام ، وفي أنهما يجدان أنفسهما مقدمين للمحاكمة على أسس التقوى من شابين تكشف حقيقة جهلهما بها. إذ في ضوء هذا المبدأ ينبغي أن يسقط موجهي الاتهام في الحالتين القضيتين طالما أنهم لا يعرفون ماذا تكون التقوى ولا الخطر الأخلاقي الذي يجلبونه على أنفسهم من هذا الافتراء الظالم.[٩٣]وطالما أننا كائنات بشرية ناقصة لا تعرف المعرفة الكاملة نوعية الأفعال التي نخدم بها الآلهة ، ولا تقديراً دقيقاً لنيات أي شخص. بل يبدو أن أفلاطون يود أن يخبرنا هنا بأن سقراط يُتهم بالإلحاد بشكل غير عادل عندما يكون الأساس الذي تقوم عليه هذه الاتهامات كامنا في شكوك سقراط حول أشكال الآلهة المتخاصمة والتي يعتمد عليها أوطيفرون بجهل في تبرير اتهامه القضائي لوالده .[٩٤] فإذا كنا نعاني من كل أوجه النقص هذه فينبغي أن نتردد تردداً عظيماً في الحكم على أفعال أي امرئ إن كانت تقية أم لا (خاصة عندما تكون الأفعال المؤدية إلي هذه الأحكام مناقضة للأخلاق العرفية السائدة).

---

[91] - M. L. Mcphrran : Socratic piety, pp. 294- 296.

[92] - M. L. Mcphrran: Socratic Reason, p. 349.

[93] - Ibid, p. 349, & Vide: M. L. Mcphrran: The Religion of …. pp, p. 32.

[94] - M. L. Mcphrran : The Religion of Socrates, p. 70, N 113.

فـــإذا تساءلنا هنا : لوكانت التقوى عند سقراط فعلا من أفعال العدالة نخدم به الآلهة في تحقيق بعض أعمالها الجليلة فهل يعني هذا أن الآلهة تفاد بهذه الخدمة ؟؟ الإجابة بالنفي طالما أن الآلهة كاملة ومكتفية ذاتياً، فلا يمكن أن يطرأ عليها التحسن نتيجة هذه الخدمة البشرية ، بل الارتقاء والتحسن سوف يعود علينا نحن الذين نؤدي هـــذه الخدمـــة، إذ أننا سوف نتخلق بذلك إزاء الآلهة بأخلاق الشرف وندخل التحسن والارتقـــاء على نفوسنا ، أما الآلهة فإننا بخدمتنا هذه نفعل ما يسرها ويكون عزيزا لديها فقط كما يرد في "أوطيفرون".[٩٥]فلم تكن هذه الخدمة متعارضة مع طبيعة الآلهة الكاملة كما زعم "فيرسيني" Verseny بل أن انجازنا لخدمة من خلال مساعدة الآلهة في عملها لا يعني بالضرورة أننا نحسن من قدرتها على تحقيق وجودها الكامل . لقد كـــان يـــوجد داخل ميدان المفاهيم الدينية اليونانية حقا ــ كما يقول مارك مكفران ــ تـــصور أن الآلهـــة ســـوف تفوضنا لأداء بعض الخدمات الرحيمة وفي نفس الوقت الـــسارة للآلهـــة والتـــي هي قديرة في ذاتها على أدائها تماما ، ولكنها تمسك عنها لأسباب عديدة خاصة بها.[٩٦]

هكـــذا يفهـــم سقراط التقوى في مفردات المعرفة والحكمة ، بل ويفهم أن بعضاً مـــن هذه المعرفة يشمل معرفة بالممارسات الدينية القويمة كما سوف نرى فيما بعد في ثنايا هذا البحث. وإذا كان سقراط قد ساوى بين المعرفة والفضيلة وآمن في ذات الوقت بوحدة الفضيلة ، فليس بدعاً إذن أن يكون قد عد التقوى فضيلة من الفضائل ، ولـــيس بدعا كذلك أن نستخدم نحن في عنوان هذا البحث كلمة "فضيلة التقوى" بناءً علـــى هذا الأساس. ومن ثم نرى أن "وايز"Weiss قد جانبه الصواب عندما أكد على أن التقوى السقراطية تقوم كفضيلة فريدة بين الفضائل لأنها لا يمكن أن تُشخص على أنها شكل من أشكال المعرفة ، وهي كذلك طالما أنها تتضمن خدمة غير ماهرة ذليلة من البشر للآلهة.[٩٧] أقول جانبه التوفيق لأننا رأينا أن سقراط قد اعتبر التقوى فضيلة وهـــي معرفة كلفته الآلهة بتبليغها إلي الأثينيين، ورأيناه كذلك قد جعل الفضيلة وحدة واحـــدة. وسقراط بمفهومه السابق للتقوى كان يقصد نفسه والنشاط الذي أداه على مدى حياته كلها. لقد عاش حياته مؤدياً لأفعال التقوى، خادماً للإله في إنجاز غاياته النبـــيلة، وخلـــق الـــنفوس البشرية الفاضلة والحكيمة، ودفع حياته ثمناً وفداءً لهذه الـــتقوى. ومن ثم فإن ذكر سقراط للإله تانتاليوس[٩٨] Tantalaus في "أوطيفرون" كان يقـــصد منه التلميح إلي حالته هو نفسه. فإذا كان هذا الإله قد سرق إلي جانب أشياء أخـــرى الأطعمة الحريفةTantalizing Foods من الآلهة وقدمها للبشر فعوقب على ذلـــك ، فـــإن سقراط يسلم بتلقيه التوجيه الإلهي بأن ينشر هذه الرسالة بين الناس، واعتبـــر نفسه لذلك "هبة من الإله " للأثينيين جميعا ، وأنهم لو أعدموه فربما سوف

---

[95] - Plato : Euthyro ..., 14 b , p. 396.

[96] - M. L. Mcphrran: Socratic piety , p. 294.

[97] - M. L. Mcphrran : Religion of Socrates, p. 56, N 80.

[98] - Plato : Euthyro.. , 11E , p.393.

ينقضي وقت طويل جدا حتى يظفروا بواحد مثله .[٩٩] ومن الواضح أنه لم يتلق هذه الهبة بلا مسوغ أو جهد من جانبه، ومن ثم يمثل هذا ــ لدى روسين ــ إلحاداً ليس بالمعنى المتعلق بعدم الاستقامة في العقيدة Unorthodoxy، وإنما بالمعني الخاص بأخذ شيء ما من الآلهة وتقديمه للإنسان على نحو ما فعل برميثوس وتانتاليوس. لقد أخذ سقراط أسلوب الحياة والبحث الذي انتهجه من الآلهة وأعطاه لبني البشر، وأيا ما كان الأمر فإن سقراط لا يبدو أنه قد سيطر عليه الخوف من العقاب الإلهي على خلاف "بروميثيوس" إذ كان يتعين علي عملية تقديم الفلسفة السقراطية أن تخاف من البشر أكثر من خوفها من الإله ؛ فقد كشفت الأحداث التالية في حياة سقراط عن المخاطر التي يتعرض لها من يكون مهمازاً (أو ذبابة الخيل) موقظاً حتى ولو في مدينة شديدة التحضر مثل أثينا .[١٠٠]

يعن لنا بعد أن رأينا المفهوم السقراطي للتقوى بأنها ذلك النوع من أفعال العدالة الذي نخدم به الإله في تحقيق غاياته يعن لنا أن نسأل عن الأسس التي أقام عليها سقراط مفهومه هذا ؟؟ من الواضح أن سقراط أقامه على أساسين : الأول الموروث الديني القديم ، طالما أن سقراط يردد مراراً أن "أبوللو" قد أمره أن يتفلسف ، وأن كونه يتوقف عن هذا سوف يعني عصيانا لهذا الأمر [١٠١]. وقد تحمل سقراط أداء هذا الأمر الإلهي بصبر وجلد. وقد روى كسينوفون تأييداً لهذا الأساس التقليدي المحافظ أن سقراط بينما كان يقضي يومه في حوارات مع الناس في الأسواق والطرقات لم يحدث في كل هذا أن رآه أحد في موقف من المواقف يفعل أو حتى سمعه يقول أي شيء ملحد أم مجدف. وذلك لأنه لم يجادل في طبيعة الأشياء كما جادل معظم الفلاسفة الآخرون.[١٠٢] ويتساءل في موضع أخر مندهشاً كيف حدث واقتنع الأثينيون أصلا أن سقراط لم يحمل المشاعر الطبيعية نحو الآلهة وهو الإنسان الذي لم يقل أو يفعل أي شيء فاجر تجاه الآلهة، بل قال وفعل بنفس الأسلوب الذي يتبعه أي إنسان أخر في كلامه وفعله والذي يُعد في أعين الناس شخصاً تقياً تقوى لا خلاف عليها.[١٠٣] ومن ثم يمكن القول بأن سقراط بذلك يقيم اتصالاً بين النزعة المحافظة لعصره وبين النزعة العقلانية المسرفة في الثقة للسفسطائيين وفلاسفة الطبيعة، وأن سقراط بدلاً من إنكار الاعتقاد في الآلهة يجعلها موضع اعتقاد أكثر من خلال حذف خصوماتها الحمقاء، وفي الوقت نفسه يؤكد على الدور الذي يلعبه العقل في الحياة الخلقية.[١٠٤]

---

99 - أفلاطون : الدفاع ، ٣٠د – ٣١أ ، ص ١٤٦.

100 - F. Rosen : Piety and Justice, pp. 114- 115.

101 - أفلاطون : الدفاع، ٢٣أ-ج ، ص ١٣٠، ٢٨هـ - ٢٩ أ ، ص١٤٣.

102 - Xenophon : Memorabilia, B1, ch1, 11, p. 3.

103 - Ibid, B1, ch1, 20, p. 5.

104 - M. L. Mcphrran : Socratic piety, p. 303.

أمـــا الأســـاس الثاني فهو الاختبار الجدلي العقلي الذي كان سقراط يمارسه في حـــياته كلهـــا، وأخضع النبوءات والرسائل الإلهية له.[105] وقد التزم سقراط بأداء هذه الرسالة التزاماً بمفهومه للتقوى هذا على مدى حياته كلها، أخذ يبصر الناس بجهلها، و بالحكمة والفضيلة كطريق يقودهم إلي التقوى وبالتالي إلي إرضاء الإله. لذلك ذهب "جومبـــرتس" إلـــي القول بأن سقراط لم يكن ملحداً، و لم يكن ركيزة للنزعة الدينية التقلـــيدية فـــي ذات الوقت .. إذ تحمل الروايات الواردة حول محاكمته وموته شهادة علـــى شعوره الديني العميق. لقد اعتبر نفسه منقطعاً لخدمة الإله، وفي الوقت نفسه كانـــت نقطة استشراف سقراط البرهان العقلي، وليس الديانة الشعبية، وإلا لما كانت الـــتهمة الموجهة إليه قد اتخذت الصورة التي اتخذتها أصلا، ولما كان ممكناً لمتهميه أن ينجحوا في أن يضموا إلي صفهم بعض فئات من المحلفين الأثينيين .[106] غير أننا نجـــد "كـــارل ياســـبرز" يضيف ركيزة ثالثة إلي ركائز التقوى السقراطية التي تنتهي بكـــشف الحقـــيقة، لأن الإنـــسان من خلال التفكير المباشر الصريح، وبمساعدة الإله سوف يصل إلي الحقيقة. يضيف إليها ركيزة ثقة سقراط وإيمانه بملاكه الروحي.[107]

أما "جوريجري فلاستوس" فيعتقد في وجود مصدرين فقط للتقوى السقراطية: مصدر عقلـــي (البـــرهان الجدلي) ومصدر فوق عقلي (الوحي الإلهي) ولكنه يضع المصدر الثاني في مكانة أسمى من المصدر العقلي، إذ لما كان سقراط يشارك المعتقد اليوناني الـــشائع بـــأن الحكمـــة الإلهـــية تـــسمو ســـمواً عظيماً على الحكمة الإنسانية، فإن التـــصريحات التـــي تأتيه من الوحي كمصدر للمعرفة الأخلاقية أسمى لأنها تقود إلي اليقين الذي دائما ما ينقص النتائج المتوصل إليها عن طريق بحوثه الجدلية.[108] في حـــين اعتبـــر "يفـــي" أن مصدري التقوى السقراطية متكاملان، وذلك لأن المصدر الإلهـــي للـــتقوى هو الذي أمد سقراط باليقين الراسخ في صحة ما انتهي إليه أصلا بالبـــرهان الجدلي، وقد دفعه هذا اليقين إلي أن يختار الموت ولا يهجر الفلسفة. لقد توصل سقراط إلي تحديد رسالته بالبرهان الجدلي، وبررها ورسخها باليقين الآتي من الوحي الإلهي، وكلاهما متكاملان.[109]

وهـــذا المفهـــوم السقراطي متوافق ــ كما يقول نورمان جولي[110] ــ مع اعتقاده بـــأن رســـالته التعليمية رسالة تم تكليفه بها من قبل الآلهة، ومع اعتقاده بأن هدف الإنـــسان الأخلاقي ينبغي أن يكون العناية بنفسه وليس بجسمه ، وعلى توافق أخيراً مع اعتقاده بأن مصالح واهتمامات الإنسان تراعى بواسطة الآلهة. وقد أشار سقراط فـــي "الدفاع" إلي أنه سوف يظل مؤدياً لهذا الواجب الديني حتى لو تم نفيه إلي مدينة

---

105 - C. D. C. Reeve: Op Cit, p. 63.

106 - Th. Gomprez: Greek Thinkers, Trans by: G.G. Berry, Vol. 11,John Murry,1913, p. 86.

107 - K. Jaspers: Op Cit, p. 7.

108 - C. Vlastos: Socrates, p.167.

109 - C. D. C. Reeve: Op Cit, pp. 71- 72.

110 - N. Gulley: The Philosophy of Socrates, Macmillan, London, 1968, p. 191.

أخـرى ، "فمن المستحيل لي أن أظل صامتاً لأن هذا يعني عصيان الإله."[١١١] وينتهي "ريفـي" إلي أن لدى سقراط في جانب مبرر ديني لأن يحيا الحياة المخطط لها ، فقد أمـرته الآلهة بذلك. ولديه أيضا مبرر عقلي لأن يعيش الحياة المدروسة "فهي أسمى حـياة لموجـود بـشري، وينبغي على المرء أن يفعل ما يعتقد أنه الأسمى حتى ولو تعرض لمخاطرة الموت والمبرران مستقلان أحدهما عن الآخر."[١١٢]

وهـنا نسأل متى بدأ سقراط في تكوين هذا المفهوم للتقوى ، وفي أي وقت من حـياته على وجه التحديد اكتمل لديه؟؟ على الرغم من أن "الدفاع" تشير إلي أن هذه الرسالة الإلهية لم تبدأ إلا فحسب عقب أن اكتشف سقراط المعنى الحقيقي للنبوءة التي حملهـا إلـيه خـريفون من عرافة دلفي، إلا أننا نميل إلي الأخذ برأي "بريكهاوس" الـذاهب إلي أن تاريخ تكوين سقراط لمفهومه للتقوى، والتزامه به تاريخ بعيد يمتد إلـي مـا هـو قـبل رحلـة خريفون بأمد طويل، خاصة وأن تاريخ هذه الرحلة من المـستحيل معرفته . ويدلل بريكهاوس على صحة رأيه هذا بعدة أدلة : أن سقراط لو لـم يكن قد حقق شهرة عظيمة من قبل في أثينا كنتيجة لمثل هذه الأنشطة النابعة من مفهـومه للـتقوى مـا كـان من الممكن لخريفون أن يتجرأ فيطرح سؤاله هذا على الكاهنة. فضلا عن أن كاهنة دلفي"بيسا"Pythia من المستبعد أن تقدم هذه الإجابة لو لـم يكـن سقراط قد حقق فعلاً شهرة عظيمة كحكيم حتى لا تخاطر بخسران ما يولى إلـيها من ثقة. كما يدل رد فعل سقراط عقب تلقيه النبوءة على أن مفهوم التقوى كان واحـداً مـن الآراء التي شيدها سقراط وتبناها بشكل سابق على ذهاب خريفون إلي دلفـي. لقد انطلق سقراط يبحث وينقب عن معنى النبوءة اعتقاداً منه أنه يتعين عليه فـي هـذا الوقت بالذات " أن يفرد لأمر الإله الأهمية العظمى" وعندما اكتشف المعنى الحقيقي للنبوءة علق مباشرة بقوله " يجب مساعدة الإله من خلال التعهد بهذه الخدمة إرضـاءً لـه."[١١٣] وينتهي "بريكهاوس" إلي أن إحساس سقراط بالواجب تجاه الإله لم ينـبع من أمر مباشر صادر إليه من خلال نبوءة دلفي، وإنما من الاعتقاد الذي اعتنقه مسبقا حول متطلبات التقوى.[١١٤]

ويـؤمن سـقراط في مفهومه للتقوى بأن الآلهة تسر حتما عندما ترى فضيلتنا، فجهود وأعمال إنسان صالح "لن تُهمل بواسطة الآلهة" على حد قوله في "الدفاع"[١١٥]. ونـسب إلـيه أسـيخنيس Aeschines ــ هـو واحـد من أصدقاء سقراط ومؤلف لمحـاورات سقراطية ــ نسب إليه قوله "إن البحر الهادئين يحظون بنصيب أوفر من

---

[١١١] - أفلاطون : الدفاع ، ٣٧ هـ -٣٨أ . ص ١٥٨.

[112] - C. D. C. Reeve: Op Cit, pp. 70-71.

[113] -.

- أفلاطون: الدفاع ، ٢٣ب- ج ، ص ١٣٠.

[114] - Th. C. Brickhouse & Smith: Socrates on Trial, pp. 94-95.

[115] -

- أفلاطون : الدفاع ، ٤١د ، ص ١٦٤.

الآلهة بسبب ما لديهم من تقوى أعظم"[116] وفي موقف سقراط هذا خروج على الديانة التقليدية التي لا تقدم هذا العزاء بل تجعل الآلهة تتصارع فيما بينها على أقدار البشر. أما سقراط فإن لا يرتاب أبدا في أن السلوك التقي يتضمن علاقة فاضلة للبشر بالآلهة، من خلاله تعود فوائد على العابد وسرور على الآلهة. ولكن هذا لا ينبغي أن يدفعنا ــ كما يحذر مكفران ــ إلي الاعتقاد في أن سقراط اعتقد أن هبات الآلهة تمثل رداً مباشراً من جانبها على أعمالنا (أي أن كل فعل تقي يكافئ مكافأة فورية و دائمة) أو أنه اعتنق الفكرة الذاهبة إلي أن مثل هذه الهبات سوف تعمل بوصفها الدافعية الوحيدة وراء إنجاز الأفعال التقية. إن الفعل التقي بوصفه صورة للفضيلة ينبغي أن يكون محققاً للسعادة طالما أن كل امرئ منا يتمنى امتلاك الحياة السعيدة ، فإنه سوف يفعل ما يكون تقياً ، ورغم أن السعادة قد لا تكون النتيجة المباشرة لإنعام الإله بنعمة رداً على كونه قد سر بواسطة فعل تقي ، يظل صحيحاً (بسبب طبيعة الفضيلة والنفس الإنسانية) أن النعم تأتي إلي الإنسان التقى كنتيجة لسعيه إلي سرور الإله.[117] ومن هنا يمكننا أن القول بأن التقوى لم تكن لدى سقراط جزءاً من الأخلاق، ولكنها كانت مظهرها الديني فقط. و في ضوء ذلك يمكننا معرفة ما الذي يمكن أن تقدمه التقوى لسقراط وللمحيطين به. أنها سوف تحرره وتحرر الآخرين من صورة السعادة المتمركزة حول الذات، حيث سوف تضحي سعادة الغير المكون الأساس لسعادتنا نحن. فبين الاثنين علاقة دائمة وأساسية تتحقق نتيجة لعبادة إله رحيم بشكل غير مغرض، والذي لكونه كاملاً لا يطلب منا أي إسهام في خيره الشخصي، كل ما يطلبه منا هو أن نفعل لغيرنا من الناس هذا الذي كان الإله سوف يفعله لهم لو شاء أن يتبادل الأماكن معنا.[118]

ولكن لماذا اعتقد سقراط أنه ينبغي عليه أن يخدم الإله بهذه الطريقة التي التزم بها بالذات ؟؟ لقد اعتقد بذلك لإيمانه ــ السابق على نبوءة خريفون بأن التقوى تتطلب من المرء أن يخدم الآلهة بأن يعزز ما يكون خيراً. ولكن دهشته من النبوءة، وكذلك فهمه التالي لها يكشفان عن أنه لم يكن قد فطن بعد إلي المدى الكامل الذي كانت الفضيلة تغيب به عن الأثينيين المحيطين به. لقد أمن بأن رسالة الإله إليه هي أن نقص النعمة السامية (الفضيلة) من الأثينيين ضعف لهم على جهل متعجرف به ، وينبغي عليه ــ بوصفه خادم الإله ورسوله إليهم ــ أن يحررهم من التظاهر الكاذب بامتلاك الحكمة الحقيقية، وهو سبب هذا النقص، ويحثهم بل ويدفعهم إلي اكتساب الفضيلة . إن الإله يرغب بلا شك في الارتقاء بخير الأثينيين، ولكن لما كان الإله لو أرسل إليهم بالنبوءات التي تخبرهم بهذا ما فهموها طالما يتظاهرون بالحكمة الزائفة، ولن يقرءوا الرسالة الإلهية قراءة صحيحة، لذلك كان ينبغي أن يعتمد على شخص بامكانه أن يقرأ الإشارات قراءة صحيحة لمساعدة الإله بأن يصل الأثينيون لما أعده

---

[116] - C. D. C. Reeve: Op Cit, p. 68, N 80.

[117] - M. L. Mcphrran : Religion of Socrates, p. 58, N 81.

[118] - G. Vlastos : Op Cit, p. 177.

الإله لهم بإرادته الطيبة من خير، وكان سقراط هو هذا الشخص. فإذا كان الأمر كذلك ألا يغدو واضحاً ضرورة أن ينظر سقراط إلي تفلسفه في الشارع على أنه عمل ينجزه بناءً على أمر الإله ؟؟ إن الإله عندما أعلن أن سقراط هو الأحكم كان يقصد من ذلك أن يجعل ممكناً له أن يخمن أن هناك مسئولية فريدة قد ألقيت على كاهله بذلك هي أن يوظف بمساعدة الإله القدر الضئيل من الحكمة الذي لديه في خدمة الأثينيين، لا أن يمنحه مبرراً لأن يزهو بنفسه.[119] وهذا ما فعله سقراط حقاً لأنه جاهد بلا ملل انطلاقاً من واجبه التقي هذا إلي تبليغ الرسالة إلي كل من ينصت إليه .[120]

لقد تعلم سقراط الدرس بنفسه من معنى النبوءة، وأحس أن مشيئة الإله تفرض عليه ضرورة أن ينقل هذا الدرس إلي الآخرين ، وقد استنفد هذا الكثير من وقته، كما أنه أوصله أيضا ــ وهذا أمر طبيعي ــ إلي قدر عظيم من الحقد، والذي أشار سقراط نفسه إليه في معرض دفاعه عن الاتهام بالإلحاد، حيث وصف نفسه بأن العناية الإلهية قد أرسلته إلي الأثينيين لهدايتهم وإنقاذهم من سباتهم، قائلاً "يبدو أن الإله قد جاء بي إلي المدينة لأقوم بهذا الدور ، حيث أتولى استنهاضكم وتحريضكم ، وتأنيب كل واحد منكم بلا توقف ، فإن أخطئه بنصحي فستطلقون سراحي ، ولكن ربما استبد بكم الغضب ــ كمن أوقظوا من سباتهم ــ فتبغضوني حسب نصيحة وتحريض أنيتوس ، وتقتلونني بسهولة ثم تمضون بقية حياتكم في نوم وسباته ما لم يضمكم الإله برعايته ويرسل إليكم شخصا (رسولاً) آخر."[121] إنها التقوى التي جعلت سقراط يحس بأن واجباً عليه أن يتجه إلي الشوارع فارضاً نفسه على أناس ليس لديهم موهبة ولا تذوق للفلسفة محاولاً أن يقنعهم بأن يخضعوا لعلاج هم لا يعتقدون أنهم بحاجة إليه. إن الطبيب الذي يقصد ــ كما يقول فلاستوس ــ أناساً يتصورون أنفسهم في أفضل صحة واضعا أمامه مهمة إقناعهم بأنهم مرضى يغامر ويشارك في عمل غير مرغوب فيه، وليس محل ترحيب من أحد. وهل كان من الممكن لسقراط أن يدفع حياته ثمنا لأداء هذه المهمة ما لم تكن التقوى التي يؤمن بها هي التي تقوده إليها ؟![122]

أما تحديد ما إذا كان سقراط قد اعتقد في نفسه اعتقاداً حقيقياً بأنه قد اختير واصطفى من السماء لتبليغ رسالة خاصة ، أم أن اعتماده على النبوءة كان مجرد غرور عبثي ؟ فهي نقطة خلاف لم تحسم بعد.[123] لقد بدأ سقراط في فترة من فترات شبابه أداء هذه الرسالة الإلهية التي سوف تستغرق بقية حياته. وكانت لديه وسائل عديدة يصف بها طبيعة هذه الرسالة مثل: أنه كان جندياً للإله يجب أن يلتزم مكانه ،

---

119 - Ibid, p. 174.

120 - TH. C. Brickhouse & N.D. Smith: Socrates on Trial, pp. 97- 98.

121- أفلاطون : الدفاع ، ٣١أ- ب ، ص ١٤٦- ص ١٤٧.

122 - G. Vlastos: Op Cit, p. 177.

123 - W. C. K. Guthrie: Socrates, Cambridge, At the University press, 1971, p. 88.

وأنـــه شـــوكة حـــادة أرسلتها الآلهة لتنخس المدينة، وأنه قابلة يولد أفكار غيره من الـــناس كما تولد أمه الأطفال، ولكن مهما كان ما ظنه في بحثه أول الأمر ، فقد بات الآن فـــي جلاء واجباً عاماً يؤديه من أجل غيره من الناس ومن أجل نفسه.[124] كانت ممارســـة الفلـــسفة واجـــباً دينياً مفروضا على سقراط. لذلك فلم توجد في نظره تلك الهـــوة الواســـعة بين حياة الفلسفة وحياة التدين، فكلتاهما تنشدان الأفعال الفاضلة ، وفهماً واضحا لمجالات التأثير المختلفة الخاصة بكل منهما.[125] ويمكننا بهذا أن نتبين كيف تكون التقوى فضيلة ، ونفهم سبب كون سقراط قد فهم الفلسفة على أنها واجب مقـــدس: إذ لما كنا ندخل في تعاقد ضمني مع الآلهة، ولما كان يجب علينا لكي نغدو فاضـــلين أن نحفظ تعاقداتنا ، فإنه أمر فاضل أن يكون الإنسان تقياً . فإننا لكي نغدو فاضـــلين ينبغـــي أن نكون أتقياء. لأن النشاط التقي يثمر حتما بوصفه نشاطاً فاضلاً ثمـــاراً طيـــبة طالمـــا أن ثمرة الفضيلة بشكل طبيعي هي الخير الذي نحققه لأنفسنا وللآخرين بواسطة ممارسة الفلسفة الحقة.[126] واعتقد سقراط أنه بأداء هذه الرسالة يغـــدو عزيـــزاً لدي الآلهة (تساعد السماء هذا الذي يساعد نفسه والآخرين) وعندما يغـــدو عزيزاً على الآلهة يجني السعادة في هذه الحياة ، لإيمان سقراط الشديد في أن سعادة الإنسان هي النتيجة المترتبة على أدائه لمهمته.[127] ومن ثم أكد سقراط ــ كما روى كـــسينوفون ــ أن هـــذا الذي يغدو ناجحاً في تقديس الآلهة وفقاً لطريقته، ولا يقصر في حقها فإنه يكون ذا شجاعة عظيمة، ولديه الأمل في الفوز بأعظم النعم قدراً ، إذ لا أحد يمكن أن يراوده الأمل بشكل معقول في ذلك اعتماداً على أي أسس أخرى غير طريقة استرضاء الآلهة. وكيف يمكنه أن يسترضيها أفضل من طاعتها بأعظم ما في طاقته ؟؟ ويعلق كسينوفون "أن سقراط بقوله هذا وتطبيقه على نفسه استطاع أن يرد هؤلاء الذين كانوا مخالفين له فجعلهم أتقياء وحكماء أكثر."[128] كما روى ديوجين لايـــرتوس أن ســـقراط قد نجح من خلال حديثه عن التقوى مع أوطيفرون في صرف هـــذا الأخيـــر عن عزمه في اتهام أبيه بجريمة القتل العمد.[129] معنى هذا أن قد حرره مـــن التظاهر الكاذب بالمعرفة عندما كشف له عن معنى التقوى الحقيقي ، وليس ما كـــان يعـــتقده هو من قبل . لقد كان هدف سقراط في الحوار ــ في رأي ويز Weiss تحـــويل أوطيفـــرون مـــن تصوراته المتمركزة حول الذات للتقوى (مثل صون نفسه وحمايتها من الآثار الضارة لإغضاب الآلهة) إلي مفهوم سقراط الإيثاري لها والذي فـــيه تتضمن التقوى خدمة للآلهة، من خلالها نحقق منفعة للآخرين.[130] لذلك لم يكن كارل ياسبرز مبالغاً عندما اعتبر التقوى جوهر الفكر السقراطي، الجوهر الذي يتقدم

---

124 - كورا ميسن : سقراط ، ص ٨٧ .

125 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety, p. 300.

126 - M. L. Mcphrran: Religion of ...., p.79. & Socratic Piety , p. 306.

127 - W. CH. Greene: Moira, Harvard University Press, New York,1948, p. 273.

128 Xenophon : Mem .. , B1V, ch. 3, 17, pp. 130-131.

129 Diogenes Laertius: OP Cit, Vol. 1, 11, 29, p. 159.

130 - M. L. Mcphrran: Religion of ...., p.77, N 106.

سريعاً ويحرق الجميع بقوة، وأن هذا الجوهر تمثل عنده أولاً وقبل كل شيء في ثقته في أن الحقيقة سوف تظهر نفسها عندما يواظب الإنسان على التساؤل والبحث ؛ وأنه من خلال وعي ناضج بما يجهله المرء سوف يصل إلي لاشيء ، وإنما إلي المعرفة التي تكون حاسمة للحياة.[١٣١]

لقد نظر سقراط إلي التقوى على أنها التصرف وفقاً لمشيئة الإله وبمعونته، إنجاز ما يريد الإله أن ننجزه. وكان مؤهلاً في الحقيقة لذلك. إنها القيام بما يقوم به الإله من أجل نفع ومصلحة البشر. عمل كهذا النوع الذي قدمه سقراط وكان الإله يود أن يفعله من جانبه من خلال مساعدة سقراط. إنه إكمال نفوس المحيطين به وغمرها بالفضيلة، لذلك أكد سقراط للقضاة قوله" لا أعتقد أن هناك خيراً قد حاء عليكم في المدينة أعظم من خدمتي التي أقدمها أنا للإله."(الدفاع ٣٠أ) لذلك يعتبر جريجوري فلاستوس أن سقراط قد وفق لمفهوم جديد للتقوى – مفهوم ثوري في الميدان الديني بقدر ما يكون مفهومه للعدالة ثورياً في الميدان الأخلاقي.[١٣٢] كان مفهومه مجددا للعقيدة وللعبادة التقليدية، إذ لما كان التاريخ الذي مرت به الديانة اليونانية حتى هذا الوقت تاريخاً ممزوجاً بالسحر، حيث كان الإنسان آنذاك يعتقد أن بامكانه عن طريق أفعال طقوسية معينة ومن خلال الصلاة والقرابين أن يجعل القوى الفوق طبيعية تلبي أمنياته الشخصية ، أما لدي سقراط فينبغي أن يُبعد هذا عن الدين ، إذ لن يدعو المطبق للتقوى السقراطية بهذا الدعاء : "إرادتي سوف تُلبى من خلالك"، وإنما: "سوف تلبى إرادتك من خلالي." إن الإنسان في هذه الصورة الجديدة للتقوى لن يكون متسولاً أنانياً ملتمساً منفعة ذاتية، بل يتوجه بالدعاء إلي آلهة طبيعتها الأساسية الرحمة بشكل لا حدود له، إنها لا تريد أي شيء من البشر أللهم إلا ما كان سوف يريد البشر تحقيقه لأنفسهم لو كانت إرادتهم إرادة دائمة للخير .[١٣٣]

فإذا كانت التقوى عند سقراط تتمثل في كيفية مساعدة الآلهة في بث الحكمة في البشر، فإنها بذلك تمثل نوعاً من الأفعال العادلة الذي نخدم به الإله فننجز عملاً جليلا بنية إسعاد الإله وتوقيره، فإن سقراط بهذا الشكل يفرق بين نوعين من الأفعال العادلة : فعل عادل بشكل تقي، وآخر عادل بشكل دنيوي فقط، وما يفرق الأول عن الثاني أن الإنسان في الأول يفعل بنية إسعاد الآلهة وتوقيرها، وبهذا يكون منفذاً (بشكل متعمد) لعمل الآلهة الرئيسي ، وهو يفعل ذلك بصرف النظر عن حب الآلهة لهذا الفعل أم لا.[١٣٤] لذلك اعتبر البعض تعهد سقراط بألا يقول غير الحق في دفاعه عن الاتهامات الموجهة إليه في المحكمة والتزمه بهذا على عكس كلا من متهميه

---

131 -K. Jaspers: Socrates , p. 7.

132 - G. Vlastos: Op Cit, p. 176.

133 - Ibid, p. 176.

134 - M. L. Mcphrran: Religion of Socrates, p. 63.

القدماء والجدد الذين انخرطوا في الافتراء عليه، اعتبره نابعاً من مستلزمات رسالته بـضرورة أن يـشجع الـناس جمـيعا على بلوغ الفضيلة، وذلك من خلال الاختبار الفلسفي.[١٣٥]

كانـت التقوى لدى سقراط تتمثل إذن في طاعة الأوامر الإلهية خاصة التي تأمر بممارسـة الفلـسفة للارتقـاء بنفوسنا، لذلك آمن سقراط بأن ممارسة الفلسفة ليس واجباً خاصا به وحده أتاه من أمر إلهي ، بل مهمة ينبغي أن يضطلع بها كل إنسان، لأنهـا ترتقي بنا وتجعل الحياة جديرة بأن تُعاش .[١٣٦] ويسوق "مكفران" عدة أسباب لاثـبات ذلك منها أولا: أنه لو كانت التقوى خدمة الآلهة بالعمل على نشر الخير في العـالم، فإن الفلسفة هي الآداة التي تفعل ذلك، وبالتالي فليست التقوى شيئا مختلفاً عن الفلسفة. ثانياً: أنه لما كانت الآلهة فاضلة فضيلة كاملة ، فمن المحتم أنها ترغب فـي سعادتنا الكاملة، ولما كان النشاط الفلسفي يهدف تحقيق ذلك، ولما كانت خدمتنا للآلهـة سوف تتطلب منا أن نلبي رغباتها، فإن النشاط الفلسفي عمل تقي. ثالثاً: أنه لـن يكون ممكناً لامرئ أن يغدو شخصاً تقياً إلا لو حاز معرفة إنسانية غير معصومة بالتقوى ، ولكون معرفته غير معصومة فسوف تخضع للفحص والتعديل الدائم ، ولن يتم هذا بدون الفلسفة.[١٣٧] لأن الممارسة الفلسفية في شكلها ألبنائي تتمثل في تبرير المعـتقدات غير المعصومة لدى البشر، وبالتالي فهي عمل تقي لأنها منتجة للسعادة التـي تـرغبها الآلهـة الخيرة لنا . لقد كانت الفلسفة في النموذج السقراطي حالة مـتقدمة من النشاط التقي مصممة لإذاعة الطابع المعرفي للأنشطة القائمة بين البشر والآلهة، وبفضلها تُربط التقوى ببقية الفضائل. بمعنى أن المعرفة البشرية بالفضائل التـي يـتم السعي إليها بواسطة الفلسفة غير ممكنة فحسب إلا من خلال تادية نشاط تقـي، والذي ينتج معرفة نموذجية بالتقوى، إذا تم إنجازه على الشكل الصحيح .[١٣٨] ولكن هناك من ينتقد سقراط ويتهمه بالتناقض في مفهومه للتقوى؛ فبينما أعلن جهله أكد في نفس الوقت وبكل ثقة أن رسالته الدينية إلي الأثينيين تمثل خيراً عظيماً. كما أن رسـالته نفسها لو تأملناها في جملتها وجدنا أنها مؤلفة من أفعال عديدة يتضمن الكثيـر مـنها مخاطـرة جلب الضرر الجسدي والأخلاقي على نفسه وعلى الأخرين. فهـناك مخاطرة أن هؤلاء الذين استمعوا إلي حواراته الجدلية سوف تنهار ما لديهم من معتقدات أخلاقية كابحة دون أن يُزودوا بمذهب أخلاقي موجب يحل محلها، إنه لو كان سقراط جاهلاً بالمعرفة الأخلاقية النظرية كيف أمكنه إذن أن يؤدي رسالته بشكل صـحيح؟![١٣٩] ويمكنـنا أن نـردد في نهاية عرضنا لمفهوم التقوى لدى سقراط مع "مكفران" أن نزعة سقراط في الشك المنهجي بوصفها تعبير عن التقوى أكثر إخلاصاً للـتقوى من التقوى الإغريقية التقليدية التي تفترض مسبقاً معرفة واسعة بالآلهة ،

---

135 - TH. C. Brickhouse & N.D. Smith : The Formal charges, p. 471.

136 - أفلاطون : الدفاع ، ٢٩هـ ـ ٣٠ أ ، ص ١٤٤.

137- M. L. Mcphrran: Socratic piety , pp. 306-307.-

138 - Ibid, p. 308.

139 - M. L. Mcphrran: Socratic Reason, pp. 350-351.

كما أنها نشاط قائم على إيمان كبير في قدرة الجدل على أن يحقق لنا قدراً من الحكمة، وكذلك إيمان بهذا اليقين الإلهي والذي يدرك من خلاله الجدارة المتاحة للمعرفة البشرية . ومن ثم يظهر سقراط في "أوطيفرون" ليس فحسب على أنه بطل العقلانية النقدية ، بل وبطل لنوع من الإيمان الديني كذلك . إنه من الممكن القول أن سقراط مع أنه يرفض أموراً أكثر منا نحن فقد فاقنا جميعا في قوة الإيمان.[١٤٠]

٢- صفات الإله

رأينا في عرضنا لمفهوم التقوى السقراطي أن سقراط يؤمن فيه بأن كل الأفعال المرضية للإله هي وحدها الأفعال الورعة. فإذا حاولنا أن ننتقل الآن إلي الحديث عن صفات الإله التي أمن بها سقراط كشق مكمل للجانب النظري لفضيلة التقوى وجدنا أن سقراط رغم أنه لا يترك مناسبة إلا وأعلن فيها جهله بالمعرفة اليقينية الخاصة بالأمور الإلهية، وأن كل ما يتحصل عليه في ذلك هو المعرفة الإنسانية غير المعصومة، فإنه يؤكد على الأهمية العظيمة لها حيث روى كسينوفون أن سقراط أكد على أن هؤلاء الذين سوف يحكمون الأسر والمدن يحتاجون إلي معرفة الإله، لأنه لكي تصبح ماهراً في أي مجال من المجالات لابد من الإيمان بأن الإله يفوق البشر في المعرفة، فالآلهة قد احتفظت لنفسها بأعظم الجزيئات أهمية ، والتي نعتمد عليها في هذه الأمور والتي لا شيء منها يكون واضحاً ومعروفاً للبشر.[١٤١] كما روى أيضا أن "سقراط توجه إلي الإله بالدعاء بأن يمنحه الأشياء الخيرة، لإيمانه بأن الآلهة تعرف أفضل من الجميع ما هي الأشياء الخيرة، أما هؤلاء الذين دعوا الآلهة بأن تمنحهم الذهب أو الفضة أو أي شيء من هذا القبيل فقد اعتبرهم سقراط يتلفظون بسخافات."[١٤٢] فإذا كان الأمر كذلك فلا يجب أن نتوقع حديثاً طويلاً من سقراط فيما يخص صفات الإله الذي يؤمن به طالما أنه يعترف في تواضع بشري بمحدودية ما لديه من معارف وأنها عرضة للخطأ. وسوف نلاحظ أن سقراط في مجموع الصفات التي ينسبها للإله متأثر في كثير منها بالعقيدة التقليدية اليونانية ، إذ لم يكن سقراط في هذا الشطر من فكره ثورياً بالحد الذي رأيناه إبان حديثنا عن مفهوم التقوى عنده

جاء اللاهوت السقراطي فكانت له رجل عند هوميروس وهزيود والثانية في نزعة مجددة عقلانية كان سقراط هو رائدها. وأول هذه الصفات التي ينسبها سقراط إلي الإله وأخذها بشكل تسليمي من الديانة التقليدية هي صفة وجود هذا الإله نفسه، فهي أمر بديهي، فلم يحدث قط أن استفسر سقراط عن وجود الإله، وقدم الأدلة على وجوده أبدا. فلم توضع مسألة وجود الإله ولا سيطرته موضع الاستجواب في حوار

---

140 - M. L. Mcphrran: Socratic piety , p.294.

141 - Xenophon: Mem ....., B1, ah1, 7-8, p.2.

142 - Ibid, B1, ch3, 2, p.20.

أفلاطون السقراطي ولا حتى كاحتمال تجريدي.[143] وكذلك الأمر لدى سقراط كسينوفون، لقد كان وجود الإله لديه ـ كما كان في نظر الغالبية الغالبة من اليونانيين ـ أمراً يكاد بشدة أن يكون بديهياً مثله مثل وجود العالم المادي .[144] إننا نراه في "الدفاع" يدافع عن نفسه ضد الاتهام الموجه إليه بأنه منكر لوجود الآلهة بأن من يؤمن بآثار الآلهة يؤمن بوجودها أصلا ، تماما مثل ذلك الذي يعتقد في أمور متصلة بالخيل يؤمن بوجود الخيل نفسها أصلا. فإذا كان سقراط يؤمن بالكائنات الروحية "الملاك" وأنها مرسلة من عند الآلهة فلا شك أنه مؤمن بوجود الآلهة التي أرسلتها أصلا.[145] وترد نفس هذه الحجة في سؤال استنكاري من كسينوفون، حيث يؤكد على أن في إيمان سقراط بالنبوءات التي تأتيه أكبر دليل على إيمانه بوجود الإله ، فمن الجلي أنه ما كان له أن يتلفظ قط بأي تنبوءات إذا لم يكن واثقاً من أنها سوف تثبت صحتها . إذ هل من الممكن أن يثق في أي شخص فيما يتعلق بمثل هذه الأمور ما لم يكن إلهاً؟؟ وكيف يمكن لهذا الذي وثق في الآلهة أن يعتقد أنها غير موجودة ؟؟[146]

فلم يكن سقراط منكراً لوجود الإله كما اتهمه أنيتوس، بل كان مؤمناً بأن الإله موجود ويرسل إلي سقراط بالإشارات لتنذره وترشده في أفعاله. بل ويشير ثيوكاريس كيسيديس إلي وجود تناقض بين الإتهامين الواردين في صحيفة الادعاء، تناقض بين التأكيد على انه "لا يعتقد بالآلهة "والاتهام الثاني "بابتداع آلهة جديدة" وذلك لأن رفض بعض الآلهة والاعتراف بغيرها لا يعني قطعا عدم الإيمان بأي إله على الإطلاق.[147]

أما بقية الصفات التي ينسبها سقراط إلي الإله الذي يؤمن به ففيها خروج شديد على الديانة التقليدية المتعارف عليها. ونستطيع أن نجمل هذه الصفات فيما يلي: الإله عنده ينبغي أن يكون واحداً وليس متعدداً كما تزعم الديانة التقليدية. وهو في هذا يسير على نفس خطى كسينوفان من قبل. وقد ذكر ديوجين لآيرتوس أن سقراط ألف ترنيمة تبدأ "كل الإجلال لك يا أبوللو يا ربه دیلوس ، والإجلال إلي أرتيميس زوجك الدبيلة."[148] ونحن نجد في دفاع سقراط الذي أورده أفلاطون ما يكاد يقطع بأن سقراط كان موحداً، ويوحي من طرف خفي بأنه ربما كان رسولاً أو نبياً.[149] حيث نجد سقراط في حكاية نبوءة دلفي يستخدم الصيغة المفردة وليست الصيغة الجمع. وقد أشار

143 - أنظر في ذلك: أفلاطون : الدفاع،٣٥د، ص ١٥٤، وفيدون ٦٢ب ، ص١٥٠.

144 - G. Vlastos: Op Cit, p158, N6.

145 - أفلاطون: الدفاع ، ٢٧ب-د ، ص١٤٠.

146 - Xenophon: Mem.., B1, Ch1, 5, p. 2.

147 - ثيوكاريس كيسيديس: سقراط ، ص ٢٧٧ .

148 - Diogenes Laertius: Op Cit, Vol. 1, 11, 39, p.173, N42.

149 - د/ محمد السيد عبد الغني : بعض ملامح الفكر اليوناني، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ١٥٢.

كسينوفون أيضا إلي إيمان سقراط بالإله الواحد في موضعين من المذكرات.[١٥٠] فماذا كان سقراط يقصد بهذا الإله الواحد؟؟

هناك من يعتقد[١٥١] أن الإله الواحد الذي قال به سقراط هو "أبوللو" رب الحرم الدليفي المقدس مقر الحكمة النبيلة، والمعرفة الأخلاقية العظيمة. ويعتمد من يذهب هذا المذهب على أن النبوءة التي كان سقراط يتحدث عنها قد جاءت إليه من هذا المعبد على لسان كاهنته مما يدل على إيمانه برب هذا المعبد أبوللو، فضلا عن وجود دليل على ذلك ورد لدى ديوجين لآيرتوس القائل بتأليف سقراط ترنيمة شكر لأبوللو وزوجه. لكن من الصعب علينا أن نؤيد هذا التحديد إذ ربما ما كان يعنيه سقراط بالإله الواحد إلهاً أخر غير أبوللو يؤمن به في قرارة نفسه دون أن يصرح به لأحد لاسيما وأنه لم يذكر اسم أبوللو أو أي إله أخر صراحة، وكثيراً ما يتحدث سقراط في "الدفاع" عن الإله الواحد الذي يرسل إليه بهديه من خلال الصوت الذي يأتيه منذ طفولته ، ويعتبر نفسه رسولاً له لقومه لينشر الفضيلة بينهم دون أي تخصيص لاسم أي إله من آلهة الإغريق.[١٥٢] بل ويشير سقراط إلي هذا الإله الواحد في العبارة الختامية من "الدفاع" عندما قال "لقد حان وقت الوداع ، أنا ذاهب لألقى حتفي ، أما أنتم فستواصلون الحياة ، ولكن من منا سيذهب إلي مصير أفضل ، العلم عند الإله."[١٥٣] ونميل نحن إلي الأخذ بما قاله ثيودروس جومبرتس من أن سقراط لم يقصد بالإله الواحد الإله الذي قال به كسينوفان، عقل ونفس حية منتشرة في الكون كله (وبالتالي لم يكن سقراط من القائلين بمذهب وحدة الوجود) إنما أمن بأنه إله سامي عبارة عن قوة تنظيم وتشكيل العالم بما يتوافق مع أغراض هذا الخالق الشخصية. ومن ثم فسقراط مؤمن بمذهب الإلهية A deistic Teleological. فهذا المذهب هو ما يبدو ــ لدى جومبرتس ــ ملائماً لاعتدال الفكر والميول النفعية تلك السمات المميزة لحكيمنا.[١٥٤] وأيد هذا الرأي أيضا ثيوكاريس كيسيديس مؤكداً على أن إله سقراط لم يكن له اسم خاص، ولا فردية (فلم يكن أبداً فرداً كما في الديانات التوحيدية) بل كان إله سقراط هو العقل الكلي العام، والحكمة فوق الإنسانية، وليست الآلهة المختلفة التي تحدث عنها سقراط سوى تجليات له.[١٥٥]

والصفة الثالثة نسبها أفلاطون وكسينوفون إلي سقراط وهي ضرورة تنزيه الإله عن كل الأفعال المشينة أخلاقياً . فلا بد أن يكون الإله كاملاً أخلاقياً. حيث نجد سقراط في "أوطيفرون" يصرح بأنه يجد من الصعوبة بمكان تصديق الحكايات المتعلقة

---

150 - Xenophon: Mem....,B 1, ch4, 5, 7,pp. 24-25.

151 - Th. Gomprez: Op Cit, Vol. 11, p. 86.

152 - د/ محمد السيد عبد الغني : المرجع السابق ، ص ١٨١.

153 - أفلاطون : الدفاع ، ٤٢أ ، ص ١٦٥.

154 - Th. Gomprez: Op Cit, Vol. 11, p. 89.

155 - ثيوكاريس كيسيديس : المرجع السابق ، ص ٢٥٧.

بانحرافات الآلهة الأخلاقية لأنها تحد من شأن الآلهة وتهينها. يأبى أن يصدق ما يُروى من حكايات عن شهوات الآلهة وخصوماتها ، فهذاسوف يقود إلي إنهيار الدين من أساسه، فلن نعد نعلم أي الأعمال يروق في أعين الآلهة ، وأيها لا يروق ، ولا إن كان العمل الحسن عند أحدهم قد يعد مرذولا عند غيره.[156] يقول"إنني عندما أجد أسمع أحداً يقول مثل هذه الأشياء عن الآلهة كأن رجلي عليه التعذيب العريض والجارف، واعتقد أن الرعي العام بهذا التعذيب قد يكون السبب الذي يقف وراء اتهامي والاتهامات المتعلقة بالإلحاد."[157] لقد أكد سقراط في أكثر من موضع من المحاورات على أن الآلهة كاملة أخلاقياً.[158] وهناك سببان دفعا سقراط إلي أن يقف موقف الرفض للصورة المشينة للآلهة التي ورثها اليونانيون من أسلافهم: أولاً : أنه لو كان لمثل هذه الأمور وجود وكانت الآلهة فعلا منحرفة أخلاقياً تفعل ما تنهانا عنه من رذائل لأدى هذا إلي انهيار الدين كله، حيث لن تعد هذه الكائنات آلهة سامية تستحق العبادة من البشر فهي لا تزيد عن البشر بأي فضل. ثانياً: كما أن هذا سوف يقود إلي انهيار الأخلاق نفسها التي جاء سقراط نفسه كي يصونها حيث لن نعد نعلم ما الذي يروق في أعين الآلهة لكي نفعله ، وما الذي لا يروق فلا نفعله ، ففي حالة كهذه سوف يكون العمل الحسن عند بعض الآلهة مرذولاً عند البعض الأخر.[159]

وكانت هذه الصفة الأساس لخروج سقراطي أخر على التراث الديني ، فالآلهة عنده ينبغي أن تكون فاضلة فضيلة سامية ، شاملة الخيرية وهذا هو السبب في كون الآلهة المصدر للأشياء الخيرة وحدها التي تأتي البشر،[160] وفي كونها على تناغم الواحد منها مع الأخر في حب أو كره الأشياء. كما أنه السبب في كون سقراط يؤمن إيماناً مسبقاً بأن أبوللو ــ وذلك عندما يعرف نبوءة خريفون ــ لا يمكن أن يكون كاذباً.[161] ويعلق الأستاذ ريفي على ذلك بقوله " ولا يمكن أن تكون مثل هذه النتيجة موضع ترحيب من أثينيين غير متنورين تربى على القصص التقليدية حول النزاعات بين الآلهة وتداخلها المتكرر في الشئون المكترثة للبشر."[162] واستخلص "مارك مكفران" من ذلك دعوى حول ديانة سقراط تقول" إنه لا يوجد سوى قانون كوني واحد خاص بالعدالة والتقوى يسري على كل الموجودات الآلهة والبشر على السواء. وبالتالي فالآلهة كاملة العدالة والخيرية إنها لا تعرف أي خلافات أخلاقية بعضها مع

156- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٩٩، ص ٥٤.

157 - Plato: Euthyphro....., 6a6- c4. p.386.

158 - أفلاطون: الدفاع، ٢١ب ، ص ١٢ ، فيدون ، ٦٢ج ـ د ، ص ١٥٠.

159- يوسف كرم : المرجع السابق ، ص٥٤.

160 - Plato: Euthyphro, 14e11 , p.397.

161 - أفلاطون : الدفاع ، ٢١ب ، ص ١٢٧.

162 - C. D. C. Reeve: Op Cit, p. 65.

البعض.[١٦٣] وهنا نتسأل مع فلاستوس لماذا استبعد سقراط تماما أن يكون الإله كاذبا ؟؟ وتأتي الإجابة لأن إله سقراط خير دائماً، وغير قادر على تسبيب أي شر لأي امرئ بأي طريقة وفي أي وقت. ولما كان خداع إنسان يعني إلحاق ضرر به فلا يمكن لإله سقراط أن يكذب . ولما كانت خيريته تتسلح بحكمته المعصومة فإن خيريته ينبغي أن تكون معصومة أيضا.[١٦٤]

الإله كامل ومكتفى ذاتياً لا يحتاج إلي شيء ، فهو لا يحتاج إلي صلواتنا ولا القرابين التي نقدمها له ليكمل بها نقصا فيه. وهذه الصفة (الاكتفاء الذاتي) كانت الصفة الرابعة التي نسبها سقراط إلي الإله ، وقد أعلى من شأن هذه الصفة إعلاءً عظيماً ، وعاش حياته كلها في زهد وبساطة تشبهاً بالإله في هذه الصفة ، وكان هذا رده عندما عايره "أنطيفون" بنوعية الحياة البسيطة التي يعيشها، فقد ذكر له — حسبما يروي كسينوفون — أنه يفعل ذلك تشبها بالإله لأن احتياج الإنسان إلي أقل القليل من الحاجات علامة دافعة على تشبهه بالإله.[١٦٥] وذلك لأن طبيعة الإله — كما يقول — "الكمال، وأن تكون الأقرب إلي الطبيعة الإلهية هو أن تكون الأقرب إلي الكمال ."

ووصف سقراط الإله بصفة خامسة ذكرها كسينوفون في المذكرات حيث ذكر أن سقراط اعتقد أن الإله يراقب ويتابع البشر ، ليس بالطريقة التي يفترضها بعض الناس، فيتخيلون أن الآلهة تعرف بعض الأشياء فقط ولا تعرف البعض الآخر، وإنما يؤمن سقراط بأن الإله يعرف الأشياء جميعاً، يعرف كل ما يُقال وكل ما يُفعل، وكل ما يُضمر في صمت، وهو موجود في كل مكان، ويرسل بالنذر فيما يتعلق بكل شيء بشري.[١٦٦] إنه لديه شامل العلم. ومن ثم اعتبر سقراط الإله مصدر اليقين الكامل في أمور السلوك والفعل لدى البشر .[١٦٧] ومن خلال المقارنات التي يعقدها أفلاطون بين سقراط وبين أوطيفرون في المحاورة يستخلص مارك مكفران أن كلاهما يدعيان امتلاك معرفة قدر كبير وغير شائع حول الأمور الإلهية ، وكلاهما يعتبر الإله مصدر الثقة والإقناع في المسائل الخاصة بالسلوك الفاضل؛ فالأول يشرع في اتهام والده اعتماداً على أسس دينية مزعومة، والثاني يتلقى المحاكمة ويتعرض للإعدام من أجل ما يفترض أنه واجبه الديني. علاوة على أن كلاهما يعتقد أن الإنسان ينبغي أن يقف في وجه هؤلاء الذين يرتكبون الظلم حتى ولو كانوا من أقرب المقربين إليه.[١٦٨] وعلى ذلك فإن كل ما يرسله الإله إلي البشر من نذر ينبغي أن يعملوا به عن يقين كامل. ويشبه سقراط في المذكرات الدور الذي يلعبه العقل الإلهي في الكون من خلال تمام

---

163 - M. L. Mcphrran: The Religion of Socrates, p. 38.

164 - G. Vlastos: Op Cit, p. 173.

165 - Xenophon: Op Cit, B 1,ch. 6, 10, p32.

166 - Ibid, B1, Ch1, 19, p.5.

167 - M. L. Mcphrran: Socratic Reason .. p.351, N13.

168 - M. L. Mcphrran: The Religion of Socrates, p. 34, N23.

العلم وشمول القدر بما يلعبه العقل في الجسم. الإنساني من دور: فكما أن العقل يوجه الجسم على النحو الذي يهواه، فمن المحتم أن العقل الإلهي الذي يتخلل الأشياء جميعا يوجه الأشياء وفقا لما هومترائي له. لذلك يطالب سقراط الإنسان بأن يجاهد في العبادة للإله حتى يمكن أن يقدم الإله له النصيحة فيما يتعلق بالأمور الخافية على البشر. وينتهي سقراط إلي أن الإله قوي ومتمتع بالقدرة التي تجعله يرى ويسمع الأشياء كلها في وقت واحد، حاضر في كل مكان، يعتني بكل الأشياء في نفس الوقت.[١٦٩] وفي المحاورات أكد سقراط أيضا على شمول العلم الإلهي للأشياء جميعا.[١٧٠]

لقد كانت الآلهة حكيمة ومحيطة علماً بشكل يفوق البشر لدى سقراط . لذلك يؤيد سقراط في "هيبياس الكبرى" الدعوى القائل بها هيراقليطس بأن "أحكم إنسان بالنسبة للإله مثل قرد بالنسبة للإنسان."[١٧١] وهناك جزء من الرسالة التي يستخلصها سقراط من نبوءة دلفي يقرر أن الإله في الحقيقة هو الحكيم حقا، ويؤكد على أن الحكمة الإنسانية ذات قيمة ضئيلة وربما عديمة القيمة بالقياس إلي الحكمة الإلهية.[١٧٢] وقد علق كسينوفون بدوره على برهان سقراط السابق على شمولية العلم الإلهي بقوله " يبدو لي أن سقراط بتحريره لمثل هذه العواطف قد قاد المجتمعين معه إلي الابتعاد عما كان فاجراً و خسيساً ليس فقط عندما يكونوا على مرأى من الناس ، وإنما أيضا عندما يكونون بمفردهم ، طالما أنهم اقتنعوا بأنه لا شيء مما فعلوا سوف يغرب عن علم الإله.[١٧٣] ومن ثم تقوم عقيدة سقراط الدينية على التمييز بين المعرفة البشرية والحكمة الإلهية : الأولى قاصرة وغير معصومة على عكس الثانية . الأولى قاصرة على معرفة الشئون البشرية والثانية تمتد إلي كل الأمور سماوية كانت أو أرضية . الأولى ناقصة بشكل لا يجعلها تصل إلي فهم كامل ومعصوم للأمور الإلهية ، صحيح أن بمقدورنا معرفة بعض الحقائق فيما يتعلق بالآلهة ولكنها تظل مع ذلك معرفة غير يقينية ، ومن ثم فإن وجه الاختلاف بين المعرفتين يكمن في درجة التعويل المعرفي (الثقة واليقين)وليس في اختلاف الموضوعات المعروفة على حد قول مكفران.[١٧٤]

أما العناية الإلهية فأمن بها سقراط إيماناً جازماً ونعتبرها نحن الصفة السادسة التي ينسبها سقراط إلي الإله. فهناك عناية إلهية في الكون أجمع لدى سقراط تشمل كل جزيئات الكون وكلياته. لقد نظم الإله الكون تنظيماً بديعاً، وعين لكل واحد منا مهمته في هذا الحياة. وهذه العناية الإلهية عناية كاملة وخيرة، فالإله هو الذي خطط

---

169 - Xenophon: Op Cit, B1, ch4, 17-18, pp.27-28.

170 - أفلاطون: الدفاع ، ٤٢أ، ص ١٦٥.

171 - Plato : Greater Hippias,Trans by: M.A. Jowett, The Dialogues of Plato, Vol.11, Randam House, New york, 1937, 289b3-6 p.575.

172 - C. D. C. Reeve: OP Cit, p. 64.

173 - Xenophon: Op Cit, B1, ch4, 19, p. 28.

174 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety, pp. 301- 302.

للكـــون نظاماً متسقاً يروم الخير والسعادة للجميع. ومن ثم فإن لدى الإله القدرة على أن يفـــرض علـــى الإرادة الإنسانية النظام ألعلي الذي ينبغي أن تتواءم أفعالنا معه، ويتدخل في سير الأحداث والتغيرات فيحولها لمنفعتنا أو العكس.[١٧٥] ونرى سقراط في أكثر من موضع من مذكرات كسينوفون يدخل في محاورات مع الملحدين ـــ من أمثال أرســـيديموسAristodemus ـــ لبـــيان أن العـــناية الإلهـــية منتشرة في كل أنحاء الوجـــود، فقـــد جـــاءت كل الأشياء من أجل غاية، ومن عمل عقل مدبر خلق الجنس البشري على صورة حسنة أسمى من كل الموجودات يقول" إننا لو تأملنا كل شيء في الوجود لرأينا كيف تعمل العناية عملها فيه." وينتهي في براهينه إلي أن الألوهية قوة ترى وتسمع الأشياء جميعا ، وتعتني بكل شيء في الوقت ذاته.[١٧٦]

كان الإله لدي سقراط شامل العلم واسع القدرة والخيرية، اعتبر أن الصفة المميزة للإلـــه هي العقل أو الفكر.[١٧٧] وتمثل خيرية الإله هذه الصفة السابعة من الصفات التي ينـــسبها ســـقراط إلي الإله. وكان سقراط على يقين من صدق الإله، وأن الإله طيب وخير يطلب الخير ممن يعبده أكثر مما يطلب أي شيء أخر . والدليل على أن شخصا يـــؤمن بالآلهـــة هو طاعته لما تتطلبه من الخير، ولم يكن في حياة سقراط ما يجعله يعـــدل عن إيمانه بذلك بعدما أدركه. وكان لهذا الإيمان أثر في الطريقة التي أدى بها سقراط أعماله.[١٧٨] إن سقراط يعتقد هنا أنه لو كانت معرفة الخير والشر يتبعها وجود الخيـــرية قـــي الإنسان حتما، فإنها سوف تستتبع الشيء نفسه في الإله . ولما كانت حكمـــة الإله تسمو على حكمة أحكم البشر سموا عظيما، فمن المحتم أن خيرية الإله تـــسمو بـــشكل لا يقل عظمة على خيرية أعظم إنسان فضيلة . فإنه يلزم عن ذلك أن عيباً لا يمكن أبدا أن يشين خيرية الإله . إذ لما كان الإله لا يكون إلا خيراً، ولا يمكن أبـــدا أن يضحي شريراً ، فإن الإله لا يمكن أن يتسبب إلا في الخير وحده، ولا يمكن أن يلحق الشر بأي امرئ إنساناً كان أو إلهاً.[١٧٩] ويشير فلاستوس إلي أن هذه النتيجة قد بدت مهرطقة ومحبطة لهؤلاء المتربين على المعتقدات اليونانية حول الآلهة لأنها ســـوف تلغـــي كل المجال الخاص بالنشاط الإلهي الذي يعذب ويدمر الشخص البريء بدرجة لا تقل عن المذنب غير مكترث بالدمار الأخلاقي الذي يحدثه ، مثلما حدث مثلا مـــن "هيـــرا" من تعذيب لهرقل على مدى حياته كلها لا لشيء سوى لأنه ولد نتيجة لإحدى مغامراتها الجنسية المخجلة. لم تكن الآلهة الأولمبية ملتزمة بمراعاة القوانين الصارمة للفضيلة السقراطية التي تتطلب من كل فرد أخلاقي ـــ إنساناً كان أو إلهاً ـــ ألا يسلك إلا بما يجلب الخير فحسب للآخرين بصرف النظر عن انفعاله الشخصي. إنه

---

175 - G. Vlastos : Op Cit, p.158.

176 - Xenophon : Op Cit, B1, Ch.4, 1-8, pp.24-27, B1V, Ch.3, 1-3, pp. 126-127.

177 - N. Gulley : Op Cit, p. 191.

178 - كورا ميسن : سقراط ، ص ٣٢ .

179 - G. Vlastos: Op Cit, p. 165.

عـــندما يغيب عن آلهة المدينة عملية الوفاء بهذه المعايير الأخلاقية الصارمة لن يعد يُعترف بها ولا بوجودها بين الناس.[180] وقد تأثر أفلاطون بشدة برأي سقراط السابق حول خيرية الإله التامة ورددد كاملاً في "الجمهورية" التي كتبها في الفترة المتوسطة من حياته التي كانت متأثرة تمام التأثر بسقراط حيث ذكر أن المدخل الأول من مداخل اللاهـــوت القول بأن الإله خير حقا ومن الواجب أن يوصف بذلك، وبالتالي فلا يمكن أن يكون مؤذياً جالبا للشر على احد، إنما علة للسعادة وللأشياء الخيرة وحدها ، أما الأشياء الشريرة فليس علتها.[181] وفي محاورة إقريطون يقول " إن الإله لا يوقع الشر حتى بهؤلاء الذين يوقعون الشر بنا كما يعتقد الكثيرون ذلك."[182]

ولا يـــبذل سقراط جهداً لبيان عملية تسبيب الإله لهذه الأشياء الطيبة ، لأن هذا الـــذي يمكن أن يحاول استكشاف كيف يمكن لموجود مفارق أن يحدث أي تغيرات — بالخير أو بالشر في النظام الطبيعي هو الجزئ من بين الميتافيزيقيين. أما سقراط — وهو ليس ميتافيزيقيا— والمتمسك بفكره الشخصي فكر المفكر الأخلاقي، ويأخذ واقعة وجـــود مثل هذا التسبيب مأخذ البداهة فإنه قانع بالا يفعل أكثر من أن يؤسس عليها أوامـــر أخلاقـــية مؤمناً بأنه لما كان الإله فاضلاً فلا يمكن أن يتسبب في الشر بل هو فقـــط علة الخير.[183] ونتساءل مع فلاستوس عن السبب الذي جعل سقراط ينسب إلي الإلـــه هـــذا الإحـــسان المطلق، وتنتهي إلي أن السبب لا يكمن فحسب في أن سقراط نـــسب إلي الإله حكمة سامية ، وإنما يكمن وبشكل أقوى في أن الصورة الأسمى من الحكمة عنده هي الصورة العملية وليست النظرية، وفي أن جوهر برنامجه العقلي في اللاهوت تمثل في افتراض أن ربط الفضيلة بالحكمة واضح لدى الآلهة بدرجة لا تقل عـــن وضـــوحه في البشر، وما كان لسقراط أن يجيز معياراً مزدوجاً للأخلاقية، ومن الواضـــح أن الحكمـــة العملية الأخلاقية هذه هي ما كان يقصده في التصور القائل إن الفـــضائل جمـــيعا هي الحكمة ، ومن ثم فإذا كانت الحكمة الإلهية حكمة كاملة فكذلك ينبغـــي أن تكـــون الفـــضيلة الإلهية.[184] يمكننا أن نستخلص من ذلك أن التقوى عند ســـقراط ارتـــبطت ارتـــباطاً وثيقاً بالاستقامة في العقيدة، وعلى وجه الخصوص إنها تكـــون فـــي الديانة اليونانية القديمة نشاطاً شخصياً بقدر ما تكون نشاطاً عاماً. لذلك اســـتغرب سقراط بشدة من قضية أوطيفرون ضد والده على أساس أنها تتعارض مع متطلـــبات الاستقامة في العقيدة، في حين قال أنه أمر طبيعي أن يتبع ميلتوس الشيء القـــويم ، وذلك بالتخلص من أولئك الذين يفسدون الشباب بغرسهم اتجاها غير ورع فيهم نحو الآلهة.[185]

---

180 - Ibid, pp. 165-166.

181 - أفلاطون : الجمهورية، ترجمة د/ فؤاد زكريا، المؤسسة المصرية العامة ،القاهرة، الكتاب الثاني، ٣٧٩، ص٦٩

182 - أفلاطون : إقريطون، ترجمة د/ عزت قرني ضمن "محاكمة سقراط"، ٤٩ ج ،ص ١٩٣.

183 - G. Vlastos: Op Cit, p. 163.

184 - Ibid, pp. 163-164.

185 - F. Rosen: Piety and Justice, p. 110.

إننا ينبغي أن نعترف للإله بالسمو الأخلاقي العظيم وكذلك بالمعرفة والقوة. واعترافنا هذا يمثل علامة على التواضع العقلي السليم الذي هو عامل تكويني جزئي في الحكمة الورعة ، ومعنى هذا اعتراف منا بأن علاقتنا بالإله هي في الحقيقة علاقة الخادم بسيد عظيم غير مرئي .[١٨٦] ومن ثم يعتبر سقراط أن الآلهة الحكيمة السامية هي مضرب المثل على الفضائل بشكل نموذجي. ولكن سقراط أمن مع ذلك بأن الفضائل مستقلة استقلالاً تاماً عن استحسان الآلهة من عدمه . فالتقوى مثلا محبوبة من الآلهة لأنها تقوى، وليس العكس كما رأينا. ولهذا الموقف نتائج بالغة إذ نظراً لأننا نعرف أن الآلهة خيرة، فإننا نعلم أن كل ما تأمرنا به ينبغي حتما أن يكون في ذاته خيراً، لأننا نعرف أن مطالب الفضيلة تسمو على كل المطالب الأخرى، ونعلم أنه ينبغي علينا حتما أن نطيع هذه المطالب، ولكن ولأن الفضيلة مستقلة عن مسألة استحسان الآلهة فإن سلطة الأوامر الإلهية علينا تنبع بشكل كامل من السلطة الأخلاقية السامية والمستقلة للفضائل . إننا نطيعها لأننا اكتشفنا ــ اعتمادا على البرهان السابق ــ أن لدينا مبرراً أخلاقياً مستقلاً لفعل ذلك . الآلهة أسمى منا ومن العار ألا نطيع امرئ أفضل منا.[١٨٧]

كان الإله لدي سقراط يعرف كل شيء : أقوالنا وأفعالنا وحتى أفكارنا الأكثر حميمية، كما أنه موجود في كل مكان، ويتجلى للإنسان في الحل والترحال. وإذا كان المتمسك بالديانة التقليدية يعتقد أن الآلهة تعرف بعض الأشياء في حين تجهل البعض الأخر، فإن تصور سقراط لصفة شمول العلم الإلهي لما تخفي الأنفس وتقر الأعين مثل ثورة على المعتقد الشعبي التقليدي عن العلم الإلهي ، ومن ثم فإن الاتهام الموجه ضد سقراط بأنه لم يعبد الآلهة التي يعبدها الشعب والمدينة لم يكن دون بعض الأساس على حد قول ثيوكاريس كيسيديس.[١٨٨] فما فعله سقراط من تحويل الآلهة إلي إله كامل العلم شامل الخيرية مساو في رأي فلاستوس لعملية هدم الآلهة القديمة وابتداع آلهة جديدة كما ورد في صحيفة الادعاء . إن آلهة سقراط رغم ما تكون عليه من سمو فوق طبيعي كامل ظلت تصطدم معاصريه الأتقياء باعتبارها فبركات عقلية، آلهة مصطنعة لأنها مختلفة عن آلهة العقيدة القديمة اختلاف آلهة الطبيعة المعبودة لدى الملحد الوارد في الرسم الكاركتوري لدي أرستوفانيس.[١٨٩]

ثانياً: الجانب التطبيقي للتقوى السقراطية

بعد أن فرغنا من استعراض الجانب النظري للتقوى السقراطية نستطيع أن نؤكد على حقيقة برزت من حين إلي أخر إثناء هذا الاستعراض، صريحة معلنة في بعض الأحيان، وضمنية مضمرة في البعض الآخر ، إنها حقيقة موقف سقراط من الدين

---

186 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety, p. 300.

187 - C. D. C. Reeve: Op Cit, p. 66.

188 - ثيوكاريس كيسيديس : سقراط ، ص ٢٥٧.

189 - G. Vlastos: Op Cit, p.166.

اليوناني التقليدي. لقد وضح من حديثنا أن سقراط لم يكن ملحداً بالمعني الكامل لذلك (إنكـــار وجود الآلهة إنكاراً صريحا وكاملاً)بل كان في حقيقة موقفه مجدداً في الديانة اليونانـــية أبقى منها على ما رآه متفقا مع عقله، والاستقامة الأخلاقية الإلهية، وهي صـــفات لا تـــنازل عنها في نظره للآلهة ، وأدخل إليها أفكاراً جديدة من عنده : فبدلا مـــن الآلهة المتكثرة المتعاركة الحقودة قال بإله واحد خير تمام الخيرية ، عالم تمام العلـــم ، منزه عن الصفات البشرية الناقصة، بل كامل في كل شيء. وهو في موقفه التجديدي هذا من الديانة التقليدية تشابه في الكثير من الجوانب مع موقف كسينوفان ذلـــك الـــشاعر والفيلسوف التنويري الذي سعى إلي إصلاح الديانة التقليدية وتنوير عقول معاصريه . تشابه معه في القول بالإله الواحد ورفض الكثرة في الآلهة ، وفي القـــول بتنـــزيه الإله عن الصفات المشينة أخلاقيا ، وبالتأكيد على كمال الإله أخلاقيا ومعـــرفيا . كما تشابه معه في القول بقدم الإله وليس حدوثه، ولكنه اختلف معه في نقطة شديدة الجوهرية : فبينما اعتنق كسينوفان مذهب وحدة الوجود حيث نظر إلي الإلـــه الواحد على أنه حال في العالم ، وأنهما معا يشكلا وحدة واحدة ، نجد سقراط يؤكد على الثنائية (الإله والعالم) وعلي أن الإله مفارق لهذا العالم وليس مباطناً له . وهذا ما سوف نراه بالتفصيل هنا إبان حديثنا عن إيمان سقراط بالعناية الإلهية .

غيـــر أن مـــا قدمه سقراط من تجديد للديانة اليونانية لم يكن إصلاحاً جذرياً ، أو انقلابـــاً ثـــورياً دينياً كهذا الذي قاده أنكساجوراس و بعض السفسطائيين الملحدين ، وإنمـــا كان إصلاحاً معتدلاً بعض الشيء لا يرتقي بصاحبه فيجعله من فلاسفة التنوير فـــي الـــيونان القـــديم. إذ لقـــد سبق أن رأينا احتفاظ سقراط ببعض العقائد الدينية التقلـــيدية، وتمـــسكه بهـــا بقـــوة. الأمر الذي سمح لنا أن نقول من قبل أن للإلهوت الـــسقراطي رجلا على الأقل في قصائد هوميروس وهزيود، لذلك رأى فلاستوس "أنه مـــن الخطأ الشنيع الاعتقاد بأن سقراط ممثل حقيقي للتنوير اليوناني، إذ وكما نعرف مـــن حالـــة بريكليس ويوربيدس أن الفلاسفة الطبيعيين من أمثال أنكساجوراس هم الذين يبحث فيهم أنصار التنوير عن قادة لهم. كما أنه من الخطأ الاعتقاد في سقراط أنـــه القائـــد العقلانـــي للعقلانيين الأثينيين.. فمن المؤكد أن أفلاطون لا يصوره بهذا الشكل.[190] وسوف يتضح هذا الموقف السقراطي المزدوج من الديانة التقليدية بشكل أوضـــح وأقـــوى فـــي حديثنا الجانب التطبيقي للتقوى السقراطية ، حيث سوف نجد ســـقراط يظل ممسكاً في يديه بخيط من الديانة التقليدية لا يفارقه أبدا حتى وهو يقدم أشد أفكاره الدينية ثورية .

وإذا كـــنا قـــد رأيـــنا سقراط في الجانب النظري للتقوى يؤكد على أنها "نوع من الأفعـــال العادلـــة التـــي نخدم من خلالها الإله فيحقق بها من خلالنا غاية من غاياته النبـــيلة"، وعـــرفنا أن هذه الخدمة تمثلت لدى سقراط في فعل التفلسف الذي مارسه علـــى مدى حياته كلها من أجل الارتقاء بنفوس المحيطين به أخلاقياً ومعرفياً ، وإذا كنا قد رأيناه يصف الإله بالعلم الشامل والقدرة المحيطة ، والوحدة والسمو الأخلاقي،

---

190 - G. Vlastos: Ibid., p. 161, N 18

والاكتفاء الذاتي، فقد بقي أن نتعرف على الجانب التطبيقي لهذه الأفكار، فما سبق كان مجرد معتقدات نظرية آمن بها عقل سقراط، وبقي أن نعرف سلوكيات سقراط العملية التي من خلالها جسد هذه المعتقدات تجسيداً حياً . ثُرى أين جسد سقراط هذه المعتقدات في حياته أم تراه قد عاش ــ مثله في ذلك مثل الكثير من الناس ــ في انفصال تام بين ما يؤمن به عقله النظري من أفكار وما تمارسه نفسه من أفعال في سلوكياتها ؟ هل كانت لدى سقراط تلك الشيزوفرنيا بين القول والعمل؟

نستطيع أن نبرز الجوانب التي طبق فيها سقراط معتقداته حول التقوى فيما يلي: ١- الإيمان بالعناية الإلهية ٢- الإيمان بالنبوءات والرؤى والاشارات السماوية ٣ - تقديم الصلوات والقرابين المفروضة ٤- الإيمان الحساب الأخروي وسوف نتحدث عن كل جانب منها بشيء من الإيضاح:

١- الإيمان بالعناية الإلهية

ينقسم المفكرون الإغريق منذ عصر سقراط وما بعده إلي طائفتين رئيستين: نظرت الأولى منهما إلي الكون على أنه من إنتاج الضرورة الآلية العمياء أخرجته على صورته هذه بلا غرض أو خطة منظمة، وتضم هذه الطائفة : الفلاسفة الذريين وخلفائهم من الأبيقوريين. واعتقدت الثانية أن الكون جاء بنظام بديع من إنتاج قانون عقلاني فاضل هو قانون القدر أو العناية الإلهية ، أو إرادة زيوس وليس من إنتاج الضرورة العمياء، وتضم ديوجين الأبوللوني وسقراط وأفلاطون وأرسطو والرواقيين ، ويكون خير الإنسان عندها إما هبة من القدر أو من المقدر للإنسان ، ويتم تحقيقه عندما يوائم الإنسان فعله مع قوانين الطبيعة والتي هي تعبير عن الإرادة الإلهية.

ينتمي سقراط إذن إلي الطائفة الثانية من المفكرين المؤمنة بوجود تنظيم إلهي يسير الكون في كافة أحداثه، وهو بهذا ينتمي إلي الطائفة التي نظرت إلي الكون نظرة غائية فكل ما يدور في الكون عنده يسير من أجل غاية مرسومة له سلفا من قبل الإله. أما المفكرون الطبيعيون قبله منذ طاليس وحتي ديمقريطس فقد أغفلوا هذه النظرة الغائية إلي الكون لأنهم توسعوا في مفهوم الطبيعة توسعاً شديداً ــ كما يقول فلاستوس ــ للحد الذي جعلوها به محتضنة للجميع، إنها مملكة "الضرورة" والتي لا يمكن أن تُخترق ترتيباتها بواسطة موجودات إلهية مفارقة متدخلة من الخارج . وذلك ببساطة لأنه لا يوجد هناك أي شيء خارج هذه المملكة. ولم يحتفظ أغلب فلاسفة الطبيعة بالألوهية ، وذلك لأن صورتهم للعالم قد رسمت من أجل تلبية مطالب علمية في الأساس وليست دينية.[١٩١] وكم كان هذا التجاهل للغائية مأخذا كثيراً ما أنتقدهم أرسطو بدوره مر النقد عليه.

لقد اعتقد سقراط في وجود الآلهة وعنايتها بالعالم والحياة الإنسانية ، وظهرت دلائل هذا الاعتقاد في الكثير من المحاورات الأفلاطونية ومذكرات كسينوفون . وإذا كان سقراط لم يوضح نظريته في خلق العالم فإنه كان يؤكد أن ما يحدث في الكون

---

191 - G. Vlastos: Ibid. , p. 159.

والحـــياة الإنـــسانية إنمـــا يحدث بتدبير نظام العناية الإلهية.[١٩٢] إننا نجد كسينوفون يعرض لنا حوارين طويلين أدارهما سقراط مع اثنين من الملحدين يبرهن فيهما على وجود العناية الإلهية في الكون، وقد استطاع في نهايتهما كما يروي كسينوفون إقناع هـــذين الملحدين بوجود الآلهة وعنايتها البديعة والخيرة بالكون فعدلا عن موقفيهما ، وعـــادا إلـــي الدين السليم. ففي الفصل الرابع من الكتاب الأول من المذكرات يجري ســـقراط حـــواراً مع أرسيديموسAristodemus ذلك الذي عرف عنه أنه لا يقدس الآلهـــة فلا يقدم لها القرابين ولا يشارك في أي عمل ديني . وفي الفصل الثالث من الكـــتاب الرابع من المذكرات يدخل في مناقشة طويلة مع أتيديموسEuthydemus ، ونـــستطيع من خلال القراءة المتأنية لهذين الحوارين استخلاص ستة براهين يقدمها ســـقراط لإثبات وجود العناية الإلهية في الكون وأقنع بها هذين الملحدين على النحو التالي:

يذهب سقراط في البرهان الأول إلي القول بأنه من المحتم أن الأشياء المصنوعة من أجل غرض معين ليست ثمرة من ثمار المصادفة وإنما من إبداع العقل ، ولما كنا نـــرى نظامـــاً بـــديعاً يسود الأشياء في الكون كله، ونرى أن هذا النظام خاضع لغاية طبيعـــية سامية فمن المؤكد أن هذا يثبت وجود عناية إلهية قائمة في الكون أجمع . وينتهـــي ســـقراط في هذا الدليل إلي أن العقل الإلهي هو الذي أبدع الأشياء التي من الواضـــح أن هـــناك غايـــة وغرضا وجدت من أجله ، أبدع ما في الكون من أحداث تـــسعى لتحقـــيق غايـــة معينة.[١٩٣] أما البـــرهان الثاني فيتخذ سقراط من واقعة تميز الإنـــسان بالـــتكوين الجسدي والعقلي الملائم لإشباع حاجاته الطبيعية والفسيولوجية إشـــباعاً كاملاً وسهلاً دليلاً على وجود العناية الإلهية في الكون. يقول"أليس الإله هو الذي صنع البشر منذ البداية ومنحهم ـ كما هو جلي لك ـ تلك الأعضاء التي يحققون من خلالها الموضوعات المختلفة من أجل غرض نافع ما . ومنحهم تلك العيون التي يبصرون بها ما يُبصر ، والآذان التي يسمعون بها ما يُسمع؟ .. ألا يبدو لك أنه شبيه بعمل التدبر الغيبي صون العين وحمايتها ـ طالما أنها هشة ضعيفة ـ بالجفون التي هي مثل الأبواب التـــي تُفـــتح عند الضرورة للرؤية في حين تُغلق عند النوم؟ وأن يجعل الأهداب تنمو كحجاب واقي حتى لا تضر الرياح العين؟ ويجعل غطاءً على الأجزاء العلوية من العينين بالحواجب حتى لا يضرهما العرق النازل من الرأس ؟"[١٩٤] وينتقل سقراط في هذا الدليل إلـــي كـــل أعضاء الإنسان عضواً تلو الأخر لبيان مدى ما فيها من عناية ودقة صنع وتبـــصر بالأضـــرار التي يمكن أن تصيبها وإعداد لكل ضرر منها السلاح الذي يقي

---

192 - د ـــ أميرة حلمي مطر : الفلسفة عند اليونان، ص ١٥٣.

193 - Xenophon: Mem.B1, ch.4, 3, p. 24.

194 - Ibid, B1, ch.4, 5-6, pp.24-25..

مسبقاً منه . فيتحدث عن العناية بالآذنين والأسنان والفم ، وينتهي إلي أن هذا التنظيم للأشياء ــ والذي صنع بشكل واضح بعناية وتخطيط ــ هو النتيجة المترتبة على العقل الإلهي . "إنها من صنع صانع حكيم قد فكر ودرس فيما يحقق الرفاهية لكل الحيوانات وليس الإنسان وحده."[١٩٥]

ويشير سقراط في البرهان الثالث إلي وجود حقيقة ناصعة في الكون كله تدل أكبر دلالة على عناية الإله وتتمثل في أن كل ما في الكون من ظواهر وأفلاك وحيوانات قد سخره الإله من أجل خدمة الإنسان وتحقيق غاياته بأسهل الطرق الممكنة. ففي حواره مع أتيديموس نجده يكشف عن هذه الحقيقة في الكون فيؤكد على أن الإله خلق لنا الضوء لمعرفته أننا نكون في وضع يجعلنا بحاجة ــ بشكل أحوج ما يكون ــ إلي الضوء لكي نرى الأشياء وإلا سوف نغدو عمياناً ، ولعلمه بأننا نحتاج إلي الراحة خلق لنا الليل وهو الظرف الأعظم ملائمة للاسترخاء. وصنع لنا الشمس بالنهار من أجل الإضاءة والدفء في حين سخر لنا بالليل النجوم لتهدينا إلي ساعات الليل وإلي الاتجاه الصحيح المكاني ، وسخر القمر بديلاً للشمس بالليل ثم ولنحسب من خلاله أيام الشهر.[١٩٦] وينتقل للإشارة إلي تسخير الإله لنا الأرض التي تخرج لنا الطعام وزودنا بالماء وسخر لنا الفصول الملائمة لإنضاج الثمار، كما سخر لنا النار كحماية من البرد والظلام وعنصر مساعد في كل فن وأي شيء يعده البشر لاستعمال ، وأوجد الهواء الضروري لتنفس الإنسان. كما منح الإله البشر ملكة الكلام حتى يتم التفاهم بينهم ونقل المعرفة من الواحد منهم إلي الأخر، ويرسل بالرسل والإشارات إلي البشر لمعرفته أنهم عاجزون عن استباق ما يكون محققا لمنفعته الشخصية فيما يخص المستقبل.[١٩٧] وأشار أيضا إلي أنه لما كانت الآلهة قد أوجدت في العالم موضوعات جميلة ومفيدة لا حصر لها فقد فطرت فينا نحن البشر الحواس الملائمة لكل موضوع منها والتي نستطيع من خلالها أن نستمتع بكل منفعة تصدر منها . وبواسطة الحواس نعمل التفكير فيما ندركه ، وبالاعتماد على الذاكرة نعلم إلي أى حد يكون كل شيء مفيداً ، ونخترع العديد من الخطط التي عن طريقها نستمتع بالخير ، ونتحاشى الشر.[١٩٨] وينتهي البرهان إلي أن الآلهة تعتني بالإنسان اعتناءً يرجى بأنه ليس لديها شأن أخر غير العناية بالإنسان . ويواصل سقراط برهانه فيقول إنه ومن زاوية أخرى يمكن القول بأن الآلهة خلقت الحيوانات جميعا وسخرتها من أجل خدمة الإنسان ، وأن يستفيد هو منها أقصى استفادة ، وكل هذا دليل على وجود العناية الإلهية "وإلا فأي حيوان أخر يستخرج مثل هذه الفوائد العديدة من

---

[195] - Ibid, B1. ch.4, 4-7, p.25..

[196] - Ibid, B1V, ch.3, 2-5, pp.126-127.

[197] - Ibid, B.1V, ch.3, 12, p. 129..

[198] - Ibid, B1V, ch.3, 11, p. 129.

الماعز والغنم والأفراس والثيران والحمير وبقية الكائنات الأخرى المماثلة مثلما يفعل الإنسان؟؟" ويوافقه أتيديموس على برهانه هذا بقوله" إنني أتفق معك فيما تقول في هذه النقطة ، لأنني أري بعض الحيوانات أكثر قوة منا ، وأراها وقد أضحت خاتعة مطيعة للبشر حتى أنهم يستعملونها لما يحلوا لهم من أغراض."[١٩٩] فيختم سقراط هذا البرهان بسؤاله التوكيدي التالي: أليس من الواضح لك بكل تأكيد أن البشر يعيشون ـ عند مقارنتهم بالحيوانات الأخرى ـ عيشة أشبه بعيشة الآلهة؟؟[٢٠٠]

وفي حواره مع أرستديموس يسهب سقراط في الحديث عن تفضيل الآلهة للإنسان على بقية الحيوانات كبرهان على وجود العناية الإلهية في الكون ، فقد حبت الآلهة الإنسان ـ دون بقية الحيوانات ـ باعتدال القامة والذي يمكنه من التطلع إلي مسافة أبعد ، ويكون الأقل عرضة للأذى ، وبينما لم تعط الحيوانات الأخرى سوى القدمين أعطت الإنسان القدمين واليدين واللتان تؤديان معظم الأشياء التي من خلالها يتفاضل البشر على الحيوانات ، ورغم أن لدى كل الحيوانات ألسنة إلا أن الآلهة منحته نعمة الكلام تفضيلا له ، وميزته كذلك في المتعة الجنسية عن الحيوانات.[٢٠١] ثم انتقل سقراط بعد ذلك إلي ما نعتبره نحن البرهان الرابع على وجود العناية الإلهية ، وفيه أشار إلي أن الآلهة لم تكتف في الاعتناء بالإنسان بمنحه الجسم فقط بل غرست فيه ـ وهذا هو الشيء الأعظم أهمية من الجميع ـ النفس وهي الجزء الأعظم سمواً فيه . لقد ميزت الآلهة الإنسان بنفس قادرة على الإدراك ، و إلا فأي نوع من الحيوان سوي الإنسان نظم عقله بشكل أفضل مما نظم به عقل الإنسان لكي يحفظه ويحرسه من الجوع والعطش والبرد والحر ، وأن يتعافى من المرض ، وأن يكتسب القوة من خلال التمرين ، وأن يجتهد لاكتساب المعرفة ويكون الأكثر قدرة على تذكر كل ما سمعه أو رآه أو علمه؟[٢٠٢] ولما كانت الآلهة قد ميزت الإنسان بنعمة العقل فإنه النوع الوحيد من الحيوان الذي يقدم العبادة إلي الآلهة في رأي سقراط.

أما البرهان الخامس فيمت بصلة إلي البرهان السابق ، حيث أشار سقراط فيه إلي أن الآلهة تهب الإنسان التعليم فيما يتعلق بسلوكه ، ولولا اهتمامها وعنايتها به ما حرصت على تزويده بذلك . فبعد أن وهبته نعمة العقل وميزته بها على بقية الحيوانات جعلت هذا العقل يقوم بوظيفة التعلم من الخبرات والتجارب التي يمر بها الإنسان ، بل ولم تتركه الآلهة فريسة للتجارب واحتمال النجاح والفشل بل زودته وأرسلت إليه بين الحين والأخر بالنذر والإشارات العلوية التي تبين له ما ينبغي عليه فعله وما لا ينبغي، وفي هذا أوضح علامة على حرصها الشديد على نفع البشر

---

[199] - Ibid, B.1V, ch.3, 10, pp.128-129

[200] - Ibid, B1, ch.4, 14, p.27.

[201] - Ibid, B.1, ch.4, 10-11, p.25.

[202] - Ibid, B.1, ch.4, 13, p.26.

والاعتـــناء بهم.[٢٠٣] وفي المحاورات ينسب أفلاطون نفس الدليل السابق إلي أستاذه ، ففـــي محاورتـــي الـــدفاع وأوطيفرون يؤكد سقراط أيضا على هذا البرهان وعلى أن الآلهـــة في عنايتها بنا تزودنا بكل طريق يقود إلي الأشياء النبيلة ، وأنه لا يوجد أي خيـــر نتمـــتع به إلا وتكون الآلهة هي التي منحتنا إياه.[٢٠٤] وفي محاورة مينون يفرق ســـقراط بـــين هـــبات الطبيعة وهبات الآلهة ويؤكد على أن الفضيلة الشعبية "الرأي القـــويم" والـــذي لـــه قيمة جليلة لا تكون الطبيعة مصدره ولا التدريب وإنما مصدره القـــسمة الإلهـــية.[٢٠٥] وفي الأسطورة الواردة في "بروتاجوراس" نجد أن الآلهة تهب الفـــضيلة لكـــل البشر، وتجعلهم مسئولين أخلاقيا عن ممارستها.[٢٠٦] لقد كان سقراط يـــؤمن بـــأن الآلهة خلقت نفوسنا وغرستها فينا ، وبالتالي فإن لديها القدرة على أن تؤثـــر تأثيراً جذرياً على بناء نفوسنا، صحيح أننا رأيناه في مفهومه النظري للتقوى يقـــرر أن الآلهة تركت نفوسنا ناقصة في جوانب المعرفة والخيرية لأسبابها الخاصة، ولكـــن يظل داخلا في مجال قدرتها إنتاج مثل هذه النفوس البشرية الخيرة. وهذا ما أكـــده ســـقراط صراحة (وإن يكن بدون تدبر) في خاتمة محاورة "مينون" بقوله "إن الطـــريقة الوحـــيدة التـــي تأتـــي بها الفضيلة إلي موجود بشري هي من خلال المنح الإلهـــي."[٢٠٧] إنهـــا تعتنـــي بالإنسان بشكل فردي وجماعي عبر ما ترسله إليهم من تحذيـــرات ســـماوية . بـــل ويعتقد سقراط أننا نتلقى من الآلهة ما هو أكثر من هبات المعرفة فهي تعتني بنا وتزودنا بكل طريق يقود إلي الأشياء الطيبة وتوفر لنا الوضع شديد الملائمة لسمونا الأخلاقي ولسعادتنا . ولكن مع ذلك لا ينبغي ـــ كما يحذر مارك مكفـــران ـــ أن نوحد بين هذه العناية وبين العمل الرئيس للآلهة، صحيح أن للآلهة عمـــلاً ولكـــن تعيـــين هـــذا العمل وماهيته ليس مهمة تتناسب مع القدرات المعرفية المحدودة للبشر.[٢٠٨]

وفي البرهان السادس على وجود العناية الإلهية أجرى سقراط تشبيهاً بين دور العقـــل في الجسم ودور الإله في العالم، فكما أن العقل يحكم الجسم فكذلك عناية الإله السماوية تحكم العالم.[٢٠٩] لقد رأى سقراط في الإله (العقل الأعلى) مصدر النظام الذي يـــسود الكـــون والقوة التي تحكم العالم ، تماما مثلما يكون العقل في الإنسان مصدراً للـــنظام في الجسم كله. إنه لمحال القبول بأن العالم لا يستوجب شيئا من الذكاء لأنه

---

203 - Ibid, B1, ch.4, 15, p. 27.

204 - Euthyro, 14e- 15a, p. 397.

أفلاطون: الدفاع، ٤١ج-د، ص ١٦٤، وأنظر:

205 - أفلاطون : مينون، ترجمة: د/ عزت قرني، دار قباء، القاهرة ، ٢٠٠١، ٩٩ هـــ ، ص ١٥٧.

206 - أفلاطون : بروتاجوراس، ٣٢٢-٣٢٤، ص ٥٧- ص ٥٩.

207 - أفلاطون : مينون ، ٩٩هـــ - ١٠٠ج ، ص ١٥٧- ص ١٥٨ .

208 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety, p. 304.

209 - Xenophon: Op Cit, B.1, ch.4, 17, p. 27.

لـــو قبلنا بذلك أفلا ينبغي علينا أيضا أن نعتبر أن أرواحنا "في محض صدفة" وجدت ملجـــأ فـــي جزء صغير من المادة هو جسمنا بالذات بينما هذه العناصر الأخرى التي تشكل العالم واللامتناهية في الكم تسير وفق نظام رائع دون مشاركة العقل ؟؟ وينتج عـــن بـــرهان سقراط أنه لا يمكن القبول في أن الإنسان ذلك الجزء الصغير كل أكبر يمـــتلك عقـــلا فـــي حين أن العالم الذي يشمله لا يتضمن أي عقل ، في العالم نظام متناغم منظم بمقتضى العقل وليس خواءً خالياً من المعنى.[٢١٠]

صحيح أننا لا نرى هذا الإله وهو يعمل عمله في الكون ، ولكن ذلك لا يعني أنه غيـــر موجود، أوأن عنايته غير قائمة . وذلك لأننا لانرى أنفسنا والتي تكون موجهة لجـــسمنا ، ولا يكون هذا دليلاً على أنها لا تفعل أي شيء بتوجيه العقل فكذلك الأمر بالنـــسبة للعقـــل الإلهي.[٢١١]ويعود في الكتاب الرابع إلي نفس هذه النقطة حيث يؤكد على أنه لو كنا لا نرى أشكال الآلهة الجسدية فإننا نرى ونؤمن بأفعالها .والسبب في عـــدم رؤيتنا للإله وهو ينظم أحداث العالم تنظيماً مطرداً يرجع لضعف أبصارنا على رؤيته من ناحية وشدة ظهوره من ناحية أخرى تماما مثلما لا نستطيع أن نحملق في قـــرص الـــشمس أو نرى الصاعقة وهي تضرب ضربتها، وإنما نرى آثارها. وكذلك نفوسنا نرى سيطرتها وتأثيرها على الجسد ولا نراها في ذاتها. وهناك نتيجة تترتب على تشبيه سقراط للثنائية بين الإله والعالم بثنائية العقل والجسم عند الإنسان أشار إلـــيها "تـــورمان جولي" هي أنه لما كانت السمة المميزة للإله العقل، فإن لهذا دلالة أخلاقـــية هي أن واجب الإنسان العام "احترام ما هو إلهي" مما يحتم عليه ضرورة أن يـــضع قيمة لأنشطة العقل أكبر وأعظم من تلك التي يعزوها لأنشطة الجسم. إذ نظرا لمـــا يـــوجد من علاقة بين العقل الإنساني والعقل الإلهي فإن هذا يجعل الأول الجزء الأســـمى فـــي الإنـــسان ، ومـــن ثم تشارك النفس الإنسانية في الإله.[٢١٢]إذن لم يكن سقراط ليتفق مع روحاتي القرون الوسطي الذين أعتبروا الإنسان منفياً في هذا العالم ، بـــل كـــان يعتبـــر وجود الإنسان وكماله في إتحاده الوثيق بالكون . ولهذا ظن أن بالإمكـــان إقامـــة مماثلة بين الإنسان والكون ، واستنتج من وجود جسد وروح عند الإنـــسان ، أن العالم بجملته لا يتكون من عناصر مادية فقط، بل ومن عقل كلي أيضا . وعلى أساس وجود العقل الناقص لدى الإنسان متوازياً مع الجسم الإنساني الناقص اســـتدل على وجود عقلي كلي كامل للكون وجرم كوني ذي جمال عظيم.[٢١٣] وينتهي سقراط من كل براهينه على وجود العناية الإلهية بالقول بأن هذه الحقائق تلزمنا بأن نعبد الآلهة ونخلص في عبادتها، وأن نحمل لها الاحترام والتقدير لقوتها النابعة مما يُفعـــل بواسطتها في الكون.[٢١٤] صحيح أن الآلهة أسمى منا بكثير وهي ليست بحاجة

---

210 - ثيوكاريس كيسيديس : المرجع السابق ، ص ٢٥٧.

211 - Xenophon: Op cit, B.1, ch.4, 9, p.26.

212 - N Gully: Op Cit, p. 192.

213 - ثيوكاريس كيسيديس : المرجع السابق ، ص ٢٥٨ص٢٥٩.

214 - Xenophon: BIV, Ch.3, 14, p.130.

إلـــي عبادتـــنا ، ولكن عندما تتنازل وتتكرم وتطلب اهتمامنا فإن هذا يلزمنا أكثر بأن نبجلها.[٢١٥]

فإذا ما انتقلنا إلي شهادة أفلاطون في هذا الموضوع وجدناه في "فيدون" يعرض لنقد سقراط لنظرية العقل التي قال بها أنكساجوراس ، فبعد أن تفاءل خيراً عندما قرأ قـــوله " أن العقل ينظم الأشياء جميعا وهو العلة وراء الأشياء جميعا" واعتقد أن هذا العقـــل يبذل ما في طاقته في التنظيم على شاكلة تكون ملائمة لخير الكل. سرعان ما خـــاب تفاؤله عندما وجد أنكساجوراس يهمل التفسير الغائي، ويقصر دور العقل على إعطـــاء الدفعـــة المحركة الأولى ثم يعود إلي الوراء إلي التفسيرات الآلية في البقية الباقـــية من نظريته في نشأة وتطورالكون ، فلا العقل نظم ولا ضبط الأشياء جميعا ، وإنمـــا الـــضرورة الآلية.[٢١٦] وينتهي سقراط إلي أن أنكساجوراس قد خلط بين العلل فجعـــل العلـــل الـــثانوية "المادة" علاً أساسية ، في حين جعل العلة الأساسية "العقل" مجـــرد علـــة ثانوية ، وأعتبر أن هذا الخلط نوع من السخافة . ويرى نورمان جولي فـــي كـــلام ســـقراط الـــسابق دفاعاً واضحاً وقوياً عن سمو التفسيرات الغائية على التفسيرات الآلية، حيث أكد على الحاجة إلي الأخذ في الاعتبار الغاية المرجو تحقيقها فـــي كـــل الأنشطة الطبيعية، ووصف هذه الغاية بأنها "الخير الأسمى"، كما أكد أيضا على السلطة التوجيهية للعقل في تنظيم هذه الأنشطة وفي تحقيق "الخير الأسمى"[٢١٧].

وبعـــد أن فرغنا من عرض البراهين الستة التي قدمها سقراط لإثبات وجود عناية إ هية في الكون نود أن نشير إلي عدة ملاحظات عليها : الأولـــى أن سقراط من خلال هـ ه البراهين ساق دليلين على وجو إله لهذا الكون ، صحيح أن سقراط وضع وجود الإلـــه موضـــع البداهة كما سبق أن قلنا، ولكن هذين البرهانين جاءا عرضا وبشكل ضـــمني فـــي حديـــثه. وكان البرهان الأول هو ما يعرف بالبرهان الغائي على وجود الإله. حيث أن هناك نظاماً بديعاً في الكون يهدف غاية كلية ، كما أن هناك نظاماً من ملائمة وتكييف الوسائل مع الغايات على مدي الكون كله ، ووجود هذا النظام الغائي فـــي الكـــون دلـــيل علـــى وجود قوة تقف ورائه أوجدته وهي الإله. وأشار "نورمان جولـــي"إلـــي أن برهان سقراط يرتكز ارتكازاً خاصاً على ما يوجد من ملائمة معقدة ومتـــسقة بـــين الوسائل والغايات في الجسد والشخصية الإنسانية ، ورأى فيه قياساً تتمـــثل مقدمـــته الكبرى في القول بأن كل ما يُكيف من أجل بلوغ غرض نافع هو من نـــتاج عمـــل العقل وليس المصادفة ، والمقدمة الصغري في أننا عندما نتأمل الجسد البـــشري نـــرى أن البـــناء الدقـــيق والمحكم للحواس المختلفة يُكيف من اجل تلبية احتـــياجات الإنـــسان وتحقـــيق رفاهيته ، وعلى ذلك فإن الإنسان مثال بالغ الإدهاش للتـــصميم العاقل ، ولكنه ليس سوى مثال واحد ويوجد على مدى العالم الطبيعي كله

---

215 - Ibid, B.1, Ch.4, 10, p. 26.

216- أفلاطون : فيدون ٩٧ ج-د ، ص ٢٤٠- ص ٢٤١.

217 - N.Gully: Op cit, p. 180.

نظام ثابت ودقيق ، والنتيجة المترتبة على هذا القياس هي أن بناء العالم اجمع نتاج عمـــل العقل وليس المصادفة، مما يدل على وجود منظم إلهي Demiourgos واحد ينظم الكون كله ويحفظه ، ويمارس عليه نوعاً من السيطرة العقلية.[٢١٨]

أما البرهان الثاني الذي يسوقه سقراط على وجود الإله فهو برهان أخلاقي ، حيث يلاحـظ المـتأمل لأحداث العالم وترتيب أجزائه أنها رُتبت لتحقيق أكبر قدر ممكن من النفع والخير لكل عضو في الكون ، ومن ثم فهناك تخطيط عام لنشر الخير في العالم ، ولا يمكـــن أن يكـــون قد جاء بالمصادفة البحتة ، فلا بد من وجود علة خيرة تقف ورائـــه هي الإله. وترتكز عناية الإله بتحقيق الخير ابرز ما تكون في العناية الحافظة بالجـنس البـشري ، فقد سخر كل شيء في الكون لخدمة الإنسان وتحقيق سعادته ، وهـذه العـناية الإلهية تحتم إلزاماً على عاتق الإنسان احترام ما هو إلهي في النظام القائم العالم ، وأن يبتعد عما هو غير ورع.[٢١٩]

أما الملاحظـة الثانية التي أود ذكرها فهي أن براهين سقراط في مجملها تقود إلي نتـيجة تقـول إن نظام العالم متمركز حول الإنسان . فهذا العالم منظم ومصمم بهذا الـشكل الـذي هو عليه لأجل الإنسان . فهناك وضع متميز له في نظام العالم وداخل التـرتيب الكونـــي للوســـائل والغايـــات ، مما يدل على أن الإله يعتني عناية شاملة بالجـنس البشري ، ورتب العالم لخدمة السعادة البشرية.[٢٢٠]إن اتجاه سقراط الغائي يجعـل الإنـسان محـور الارتكاز، لقد نظر إلي الفاعلية الإلهية من الزاوية الخاصة بالمـنفعة البشرية وحدها. وفي الملاحظـة الثالثة نستطيع أن نتبين من حديث سقراط الغائـــي الـــسابق عـــن وجود عناية وتنظيم إلهي في الكون من طرف خفي واقعة أن سقراط أمن بينه وبين نفسه بالحتمية اللاهوتية "الجبرية" والتي تنكر إنكاراً تاماً تمتع الإنـسان بحرية اختيار أفعاله . فقد اعتقد بشدة في وجود عناية وقانون إلهي أعلى يـسودان الكـــون كله ، ويوجهان كل الموجودات نحو العمل المرسوم لها في سياق الكـــون بواسطة العقل الإلهي. ومن ثم فلدى الإله القدرة على أن يفرض على الإرادة الإنـــسانية النظام العلي الذي ينبغي أن تتواءم أفعالنا معه . ويتدخل في سير الأحداث والتغيـــرات فـــيحولها لمنفعتـــنا أو العكس.[٢٢١]فجاءت غائيته هذه أنثروبولوجية في طابعهـــا تعتبـــر الإنسان مركز الكون وغايته القصوى. لقد كان من السهل على مفكر مـــتفاءل مـــثل سقراط ـــ كما يقول جرين ـــ أن ينتقل من الاعتقاد في المنفعة كمعيار للخيـــرية إلي الاعتقاد بأن كل الأشياء في الكون تساهم في خدمة الإنسان حيث يتوج ســـقراط نـــزعته في المنفعة العامة بالنزعة الغائية معتنقاً نظرة إلي الكون متمركزة حول الإنسان ، وذهابه إلي أن ما يوجد من ملائمة الإنسان لبيئته الخارجية ثمرة من

---

218 - Ibid,p. 182.

219 - Xenophon: Op cit, B1, ch. 4, 19, p.28, & B1V,ch. 3, 14, p.130.

220 - N. Gully: Op cit, p. 183.

221 - G. Vlastos: Socrates, p. 158.

ثمار النظام الإلهي ، وفي نفس الوقت ثمرة من ثمار حب الخالق له ، لأنه يعتني بالإنسان وينظم الكون كله من أجل تحقيق منفعته.[٢٢٢]

ويستدل نورمان جولي من شدة التشابه بين براهين سقراط السابقة وبراهين الرواقية في إثبات وجود العناية الإلهية على صحة رواية سكستوس أمبريقوس التي ذكر فيها – إبان مناقشة اللاهوت الرواقي – أنه من المرجح أن الرواقية استخدمت البراهين الواردة في المذكرات في وقت تشييدهم لبراهينهم اللاهوتية الخاصة.[٢٢٣] وهنا نتسأل : إلي أي مدى يمكننا أن نثق في أصالة براهين سقراط السابقة على وجود العناية الإلهية؟؟ لقد شغل هذا السؤال الباحثين في فلسفة سقراط خاصة وخاصة وأن أفلاطون لا يورد شهادة يُعتد بها في هذا المجال سوى الهجوم الذي شنه سقراط على الدورالمحدود للعقل عند أنكساجوراس وعدم تنبهه إلي وجود غائية في الكون وذلك في "فيدون" ودون تفاصيل أكثر من ذلك. أما أرسطو فصامت تماما في هذا الموضوع . وعلى ذلك يوجد فريق من المشككين في صحة نسبة هذه الآراء إلي سقراط ؛ فقد أشار "فرنر ييجر" إلي أن اللاهوت الطبيعي الذي ينسبه كسينوفون إلي سقراط يعود في الأصل إلي ديوجين الأبوللوني.[٢٢٤] أما فلاستوس فيسحب الثقة من هذه الآراء ويعتبر أن سقراط بعيد كل البعد عنها ، لأن البرهان الوجودي على وجود الإله شأن من شئون فلاسفة الطبيعة فلماذا يقدم سقراط مثل هذا البرهان بينما فلسفة الطبيعة ليست من شأنه باعترافه الشخصي.[٢٢٥] أما ثيودروس جومبرتس فيعتقد أن البراهين في فكرتها سقراطية (فكرة العمل الغائي للإله الأسمى) أما في سياقها وتفاصيلها فلا شك أنها من وضع كسينوفون ، فهناك تفاصيل كثيرة في هذين الفصلين توحي بأن الصوت الذي يتحدث إلينا صوت كسينوفون وليس أستاذه.[٢٢٦] ولكننا لا نميل إلي رأي جومبرتس السابق ولا إلي الرأي المنكر لأصالة هذه البراهين ونميل إلي الأخذ برأي "تورمان جيلي" الذي انتهي فيه بعد تمحيص شديد لأراء القائلين بأن صاحب هذه البراهين هو زينون الرواقي وأنها منحولة لسقراط . نميل إلي رأيه القائل بأن سقراط هو صاحب هذه النظرية الحقيقي حيث يقول " يبدو لي مقبولاً أن نعزو هذا المستوى من الأصالة إلي سقراط ، فمن الصعب في ضوء ما نعرفه عن كسينوفون الاقتناع بأنه قد انتحل من عنده أي من هذه البراهين .... إن كسينوفون في هذا الشطر من المذكرات كان يعرض لآراء سقراطية أصيلة ، فضلا عن أن هذه الآراء على توافق مع القناعات التي كانت الأساس لدفاع سقراط عن مبادئه في مشهد المحاكمة . فهي على توافق مع اعتقاده في أن رسالته

---

222 - w Ch. Greene: Op Cit, p. 274.

223 - N. Gully : Op Cit, p. 184.

224 - W. Jaeger:The Theology of the Pre-Socratic Philosophy, At Clarendon press, Oxford, 1948, p. 167.

225 - G. Vlastos : Op Cit, p. 162.

226 - Th. Gomprez : Op Cit, Vol. 11, pp. 89-90.

التعليمية قد كلفته بها الآلهة ، ومع اعتقاده بأن هدف الإنسان الأخلاقي العناية بنفسه ولـيس بجـسمه ، وعلـى توافق أخيراً مع اعتقاده بأن مصالح واهتمامات الإنسان الفاضل تراعي بواسطة الآلهة."[٢٢٧] وينتهي جولي إلي أن هذين الفصلين من المذكرات يقدمان نظرية من الواضح بالكثير من الأساليب أنها كانت نظرية تقدمية في زمنها ، ولا تتمـثل طبيعتها التقدمية في ألفاظها وطريقة عرضها فقط، بل وفي أوجه تشابهها مـع الفكـر الرواقـي المتأخر وليس مع الفكر السابق أو المعاصر لها.[٢٢٨] وإن كان نـورمان جيلـي يعتـرف بأن سقراط قد استمد الغائيته هذه عن العناية الإلهية من مـصدرين همـا : ديوجين الأبوللوني الذي أكد على أنه يوجد حتما في الطبيعة نظام وغايـة مـتعمدة ، وافترض أن هذه الغاية توجه من أجل تحقيق ما يكون الأسمى ، خاصة وأن هناك تشابهات كبيرة بين براهين ديوجين وبراهين سقراط مثل القول بأن الأشـياء جميعا شكلت من "أجل الأفضل"وأن تصرفات الإله في الكون تشبه تصرفات العقـل في الجسم البشري ، وأن هناك ترتيباً إلهياً يُضرب المثل عليه بمسألة تعاقب الفـصول ، والحـواس والعقـل البشري . والمصدر الثاني الذي استمد منه سقراط نظريته هو كتاب التراجيديا المعاصرين له خاصة أسيخلوس وسوفكليس ويوربيديس الذين كان لديهم اعتراف عام بمستوى من القدرات والمهارات البشرية المتميز والتي سـمحت للإنسان أن يشيد حياة متحضرة أسمى من حياة كل الحيوانات ، والنظر إلي هذه المهارات على أنها هبات من الآلهة.[٢٢٩]

لـم يـرض سقراط عن الآلهة القديمة التي تقف مكتوفة الأيدي أمام قوة ضربات قانـون الضرورة والذي يصيب الجميع دون أن تكون للآلهة أية قدرة على تغييره ، وقـال سقراط بدلا من ذلك بغائية إلهية شاملة فيها الإله هو مصدر كل ما في الكون مـن نظـام وخير وجمال . إنه العقل الكلي المنظم للكون على خير ما يكون من أجل سـعادة الإنـسان . وإيمانـاً مـن سقراط بهذه الغائية الإلهية توجه بسهام نقده إلي الفلاسـفة الطبيعيـين الـسابقين عليه. حيث تتفق المصادر القديمة لدى كسينوفون وأفلاطـون وأرسـطو تـوافقاً تاماً على عدم اشتغال سقراط بالأبحاث الطبيعية لا من قـريب ولا من بعيد ، وأنه قد وقف موقف العداء من أصحابها ، وعلى كذب الصورة الـساخرة له في مسرحية السحب لأرستوفانيس. والوحيد الذي شذ عن هذا الإجماع ديوجين لآيرتوس الذي أشار إلي أن سقراط ويوربيديس كانا تلميذين لأنكساجوراس ، وأن سـقراط تحـدث في الطبيعيات مثلما تحدث في الأخلاق.[٢٣٠] ولكن البعد الزمني الكبيـر بين سقراط وبين ديوجين لآيرتوس ، وكذلك كون هذا الأخير من كتاب السير والحكايات وليس الأفكار والمذاهب تضعف من شهادته هذه .

لقـد وقف سقراط موقف العداء الشديد من الفلاسفة الطبيعيين السابقين عليه ، وأعلـن بـراءته مـن أن يكون له اهتمام ولو سري بالدراسات الطبيعية ، ويصوره

---

227 - N. Gully : Op Cit, pp. 190- 191.

228 - Ibid, p. 184.

229 - Ibid, pp. 185- 189.

230 - Diogenes Laertius : OP Cit, Vol. 1, 11, 44-45, p. 175.

كسينوفون هناك في صورة المعارض معارضة ازدرائية للبحث الطبيعي ، ونراه يحذر أتباعه منه بقوله " إن هذا الذي ينخرط في مثل هذه الأشياء يتعرض لمخاطرة أن يغدو مجنوناً مثل انكساجوراس."[٢٣١] ونجده في المذكرات يصفهم بأنهم "ليسوا سوى حمقى لانشغالهم بمثل هذه الموضوعات ، والسبب في حمقهم هذا أنهم أهملوا دراسة الإنسان ولم يعرفوا ما يكفي معرفته حول الشئون الإنسانية ، وانتقلوا للبحث في الأمور السماوية مع أنها غير مفيدة لهم ، كما أنها من شئون الآلهة وحدها ، فضلا عن أنه من المستحيل للإنسان أن يصل إلي المعرفة اليقينية الكاملة والنهائية في هذه الأمور لقصور المعرفة البشرية أصلا.[٢٣٢] ويبدي ثيودروس جومبرتس رفضه في أن يكون سقراط قد تأثر في موقفه هذا برأي رجل الشارع الذي كان يعتبر "الباحثين في السماء" كفرة ينتهكون انتهاكاً غير جائز خصوصيات الآلهة . فليس من الميسور الاعتقاد بأن مفكراً أصيلا مثل سقراط قد وقف في عملية إصدار حكم على فلاسفة الطبيعة على نفس الأرضية التي وقف عليها الأثيني العامي المحافظ.[٢٣٣] وإنما الذي جعله يقف هذا الموقف هو ما أحسه لديهم من اعتناق كامل للآلية المادية ، وإغفال تام لذكر الغائية الإلهية كما سبق وأن اشرنا . وقد فصل أفلاطون بدوره هذا السبب تفصيلا واضحا في "فيدون" فأخبرنا أنه كان في صدر شبابه غير راضي عن النظريات التي كان يقول بها الفلاسفة الطبيعيون في عصره ، وأعتقد أنهم كانوا على خطأ في تفسير كل شيء في المفردات الخاصة بالعلية الآليةThe Mechanical Causation،في حين كان ينبغي عليهم أن يتبعوا نوعاً غائياً من التفسير.[٢٣٤]

ويوجد أيضا سبب أخر لهذا العداء بين سقراط وبين فلسفة الطبيعة أشار إليه فلاستوس : إذ لقد وقف سقراط من الدراسات الطبيعية موقف غير المكترث بها — وليس المحتقر لها كما يصوره كسينوفون — لأنه كثف اهتماماته بالبحث الأخلاقي ، وتركيز سقراط على البحث الأخلاقي والعمل على النهوض بالفضيلة الإنسانية جعله لا يبدي اهتماماً بالفلسفة الطبيعية أكثر مما أبداه بالميتافيزيقيا أو الإبستمولولجيا أو أي فرع من فروع البحث يقع خارج مجال الأخلاق.[٢٣٥] وكم كانت عبارة سقراط جازمة وصريحة عندما أعلن في "الدفاع" تنصله من هذه المباحث فقال"عن مثل هذه الأشياء فليس أعرف شيئاً سواء كان أو كبر، كما أنني لن أتحدث باستخفاف عن مثل هذا العلم

231 - Xenophon: Op cit, B. 1V,ch. 7, 4-7, pp. 147-148.

232 - Ibid, B1, ch 1, 12-13, p. 4.

233 - Th. Gomprez: OP Cit, Vol. 11, p. 91.

234 - N. Gully: OP Cit, p. 179.

235 - G. Vlastos: OP Cit, P. 161.

. حتى ولو كان أحد قد حاره على وجه اليقين ولكن الحقيقة أيها الأثينيون أنني لو أهارك أبدا فيه." ويستشهد بالحاضرين المحاكمة (والذين ينتمون إلي جيله أو ربما أكبـر مـنه) إن كان أحد منهم قد سمعه من قبل يناقش في مثل هذه الأشياء ، وكان علـى ثقة من أنه لا يوجد أحد يمكن أن يشهد بأنه قد شارك في هذه الدراسات التي ينـسبها إلـيه أرسـتوفانيس زوراً في مسرحيته.[٢٣٦] لقد ألف أرستوفانيس السحب وأقامهـا علـى هـذه الإشـاعة المغرضة ، وكان أرسطو على يقين تام من كذبها ، واعـتمادها علـى افتراءات فقال في عبارة اعتراضية رداً على ذلك " لكن سقراط قد شـغل نفسه بالمباحث الأخلاقية وليس بدراسة الطبيعة ككل على الإطلاق."[٢٣٧] ويبلور فلاسـتوس نقطـة الخـلاف بين سقراط وفلاسفة الطبيعة السابقين عليه في اختلاف المعاييـر التي كان يبحث عنها كل طرف منهما . لقد كان سقراط يبحث عن كمعايير أخلاقـية للـسلوك القـويم (سواء كان بشرياً أو إلهياً) في حين كانوا يبحثون عن معاييـر ميتافيزيقية ، وكان بحاجة إلي آلهته لتلبية هذه المعايير الأخلاقية ، فإذا كان الأيونـيون قد أضفوا الطابع العقلاني على الألوهية بجعلها شيئاً طبيعياً ، فقد قام هو بحـركة مناظـرة أضـفى ــ داخل الإطار المفارق للطبيعة والذي رفضوه ــ الطابع العقلانـي علـى الآلهة ، وذلك بجعلها شيئا أخلاقياً ، فأضحى من الممكن لآلهته أن تكون عقلانية ومفارقة للطبيعة في نفس الوقت طالما أنها أخلاقية بشكل عقلاني . لم يكـن ممكـناً له إنتاج لاهوت طبيعي طالما أولى اهتمامه العظيم إلي الأخلاق ، ولكنه استطاع وقدم فعلاً لاهوتاً أخلاقياً باحثاً في تصور الإله بالقدر الذي يكون مطلوباً لأنه يجعلـه علـى توافـق مـع تـصوراته الأخلاقية.[٢٣٨] ويؤيد نرومان جولي نفس كلام فلاسـتوس السابق بقوله إن سقراط يختلف عن فلاسفة الطبيعة في أنه يقدم تفسيراً لاهوتـياً أخلاقياً للبراهين الغائية في الكون . إن أهمية سقراط أنه استطاع أن يجعل مـن براهينه الغائية على وجود الإله أساسا لتبرير مثل أعلى أخلاقي. فأصالته تكمن أساسـا في تشييد لاهوت لا يدخل فحسب القول ببراهين جديدة على وجود الإله ، بل ويقدم دلالة أخلاقية غير مسبوقة لمثل هذه البراهين.[٢٣٩]

إذا كـان إيمان سقراط بهذه الثنائية بين الإله (المنظم) والعالم (الخاضع للتنظيم) ، وإيمانـه بوجود غائية عاقلة في الكون متمركزة حول الإنسان قد دفعاه إلي مهاجمة الاتجاه الآلي لدى الفلاسفة الطبيعيين السابقين عليه ، فإن هناك نتيجة أخرى ترتبت علـى هـذا الإيمـان ، هـي تأكيد سقراط على أن الآلهة ينبغي أن تكون هي مصدر القوانـين التي تحكم البشر على الأرض ، وأن هذه القوانين مظهر من مظاهر العناية الإلهية . فالقوانين العادلة صادرة عن العقل ومتفقة مع الطبيعة ، ومصدرها الأصلي لـيس البـشر بل هي في الحقيقة صورة من قوانين غير مكتوبة رسمتها الآلهة في

---

236 - أفلاطون ، الدفاع ، ١٩ ج ، ص ١٢١.

237 - Aristotle: Metaphysics, trans by: D. Ross, B 9, ch. 3, 987b1-2, p. 572.

238 - G. Vlastos: Op Cit, p. 162.

239 - Ibid, p. 190.

قلوب البشر ، وأن من يحترم هذه القوانين العادلة يحترم في الوقت ذاته العقل والنظام الإلهي لأنها تعبير عن القانون الإلهي الخالد ، أما من يحتال ليخالفها فسوف يلحق به عقابها حتما لأن السمة المميزة لهذه القوانين أن مخالفتها تحمل في ذاتها العقوبة الخاصة بها حتما . وتمثل هذه القوانين غير المكتوبة ــ فيما يُفترض ــ شيئاً أكثر شمولية من أي قانون جزئي خاص بأي مكان أو زمان معين.[٢٤٠] واستطاع سقراط أن يحل بالقول بهذه القوانين غير المكتوبة التقابل الذي أقامه السفسطائيون بين الطبيعة والعرف ، ويتمثل طريق السعادة في خضوع المرء لسلطة هذه القوانين.

يسجل كسينوفون تصور سقراط السابق حول القوانين غير المكتوبة باعتبارها نتيجة من نتائج سيادة العناية الإلهية في الكون في حوار سقراط مع هيبياس السفسطائي في الفصل الرابع من الكتاب الرابع ، ونجده في هذا الحوار يقنع هيبياس بأن القوانين غير المكتوبة سارية المفعول في كل مكان ومن تشريع الآلهة ، وذلك لأن القانون الأول في هذه القوانين لدي البشر جميعا هو الذي ينص على عبادة الآلهة . وهناك قانون ينص على طاعة الوالدين . ومن يخالف هذه القوانين غير المدونة يتعرض للعقاب ، ولا يمكن له بأي وسيلة من الوسائل أن يفلت منه.[٢٤١] وهي قوانين متفقة مع العدالة، ومن ثم فإن طاعة القوانين والعدالة شيء واحد . ويسجل كسينوفون وقائع حدثت في حياة سقراط رفض فيها مخالفة القوانين رغم تعرضه للتهديدات والإغراءات العظيمة ، ومع ذلك رفض مخالفتها حتى لا يغضب للآلهة . فمثلا حدث عندما كان عضواً في المجلس أن رفض أن يحكم بالإعدام على كل من Erasinides وThrasyllus وحلفائهما بواسطة تصويت فردي مخالفاً للقوانين رغم أن الأغلبية كانت متحمسة لذلك ، وسخطت عليه ، بل وهدده كثيرون منها تهديداً علنياً لو اعترض على التصويت ، ولكنه أصر أن يطيع الشيء الأعظم أهمية وأن يحافظ على قسمه.[٢٤٢]

أما أفلاطون فسجل موقف أستاذه السابق في محاورة شهيرة له هي "إقريطون" حيث أن سقراط ونتيجة لإيمانه بالغائية الإلهية أكد فيها على ضرورة أن يطيع الإنسان القوانين القائمة لأنها من عند الإله ، إنها نصوص رسمتها الآلهة في قلوب البشر . وضرب سقراط بحياته مثالا رائعاً في تنفيذه الشخصي لهذا الأمر ، فعاش حياته كلها طائعاً للقوانين ، وحتى عندما حكمت عليه هذه القوانين ظلماً بالإعدام رفض شرقها بالهرب من السجن ، واعتبر أن هذه خيانة لنظام المدينة الذي ولد وعاش فيه ، وخيانة فوق ذلك للآلهة التي فرضت هذه القوانين.[٢٤٣] وفي "فيدون" أمن سقراط أيضا بأن من يحترم القوانين العادلة فإنما يحترم في الواقع العقل الإلهي والنظام الإلهي ، فالعالم يُدبر بواسطة قوى إلهية عاقلة وخيرة تسير كل شيء

---

240 - W . Ch. Greene: Moira, p. 227.

241 - Xenophon: Op Cit, B4, ch.4, 19-25, pp. 136-137

242 - Ibid, B1, ch.1, 18, p. 5.

243 - أفلاطون : إقريطون، ٤٩-٥١ ،ص١٩٢-ص١٩٥.

بالفضل ، وطـريق السعادة ليس بالتمرد ، وإنما في الخضوع لسلطة هذا القوانين الإلهـي . ومن ثم رفض الانتحار كوسيلة للخلاص من مآسي الحياة ، إذ لا يجوز في رأيـه أن نعتدي على شيء لا نملكه، إننا لا نملك أنفسنا ، بل هي ملك الآلهة ، وفي الانـتحار إغضاب للآلهة لأنها الوحيدة التي لها الحق على أن تنتزع أنفسنا منا متى تـشاء ، وهي التي حددت للإنسان الموضع الذي يجب أن يشغله وليس من حقه أن يهرب منه.[٢٤٤]

يـشير كـارل ياسـبرز إلي أن ارتباط سقراط ارتباطا متيناً بمدينته الأم ، مدينة صولون والحروب الفارسية ، المدينة المقامة على شريعة قانونية تترسخ منذ أزمان بعيدة وبدونها تفقد المدينة كل ما لها ، هو السبب في ثقة سقراط في القانون ورفضه الفـرار مـن الـسجن وخرق القوانين والتي ظلت صادقة بوصفها قوانين رغم أنها سـاهمت كإطـار حامي للظلم.[٢٤٥] إنه لا يضع نفسه نداً لند أمام القوانين بل يعترف بواجـبه أن يطيعها ، ومن المحتم أنه رضخ لحكم القضاة تماما مثلما يمتثل المواطن للأمر الذي يأمره بالذهاب إلي ميدان القتال ، بل أنه لم يجرؤ أن يشيح بيده في وجه بلده مثلما لا يجرؤ أن يفعل ذلك لوالديه حتى وهو يعتقد أنه قد عومل معاملة ظالمة . إن سـقراط رغم تساؤلاته النقدية القاسية ظل دائما وأبداً يقر بقوانين المدينة ، وظل دائمـاً بـلا انقطـاع يقر بوجود سلطة عامة مطلقة ، وأن هذه السلطة تفرض عليه مـسئولية مطلقـة و التـزام راسخ آت من إيمانه في عدالة واضحة بذاتها ولا تهم الفـوائد التي ينزلها الحظ بالكسول في العالم ما يهم هو شيء واحد فحسب أن تحيا وفقـا لقانون الحقيقة الذي يسطع في العقل.[٢٤٦] إننا نكتشف من حديث سقراط السابق أن مناقشاته ومناقشات السفسطائيين معه جعلت واضحا أن القانون لو كان متعارضا مـع الطبـيعة فسوف ينهار الأساس الذي تقوم عليه الأخلاق بل وتقوم عليه المدينة نفـسها. لقـد كانت المهمة العظيمة التي اضطلع بأدائها سقراط ومن بعده أفلاطون وأرسـطو والـرواقيون: اكتـشاف القانون في الطبيعة والعمل على تأسيس السلوك البشري على قوانين الكون الثابتة.[٢٤٧]

حـسبنا ما سبق عرضا لإيمان سقراط بالعناية الإلهية وشمولها الكون كله. وعلينا أن نـشير فـي الخـتام إلي أن هناك تلازماً رأيناه على مدى العرض كله بين غائية سـقراط مـن جهـة وبين فكرته في أن معنى وجود الإنسان هو في اكتماله العقلي والأخلاقـي ، واعتقاده أن مهمة الإنسان نقض الرذائل وتعلم الفضيلة كما أمره الإله، ويقينه من أن "ما من ضرر يتأتى إلي إنسان صالح ، لا في حياته ولا بعد موته إذ لا تكون الآلهـة معاندة تجاه مصيره."[٢٤٨] وبقي أن نأخذ على سقراط ما أخذه عليه وليم تشارلز

---

[244]- أفلاطون : فيدون، ٦٢و ، ص ١٥٠ .

[245]- K, Jaspers : Op Cit, p.9.

[246] - Ibid, p.10.

[247] - W. Ch. Greene: OP Cit, p.277.

[248]- ليوكاريس كيسيديس: سقراط ، ص ٢٦٣ .

جـرين من أنه في تأييده للحتمية اللاهوتية (الخيرية) قد وقع في العيب الذي سوف تقـع فـيه جبرية الرواقيين من بعد عيب تجاهل حقيقة وجود الشر في الكون. أغلق عينيه تماما عن وجوده في العالم مفترضاً افتراضاً يقينياً أن الآلهة تفعل الخير دائماً مـن وجهـة النظـر الخاصة بالإيمان، في حين رد الشر الأخلاقي بجملته إلي جهل الموجـودات البـشرية الناقـصة، وهو هنا يقع في عيب أنه لم يفسر لنا علة وجود الـنقص فـي البـشر مع أنهم جزء من هذا العالم الذي قال عنه أنه أكمل العوالم ، وتشمله عناية إله خير . كيف يستقيم صدور الشر عن موجود طبيعته الفطرية خيرة أصلا بشكل كامل؟ لم ينتبه سقراط لهذا التناقض واقتصرت نزعته الغائية على تفسير مـا يشكل الخير ولم تشر أي أشارة إلي ما يشكل الشر؟[٢٤٩] ولكن رغم هذا نقول مع "جـرين" أن الإسهام العظيم لسقراط لا يتمثل فحسب في منهج أو حتى مذهب قدمه ، بـل وفى فعل الإيمان، إذ تطلب منه إيمانه الديني بما في الكون من عقلانية وخيرية أن يتـصرف ويسلك بما يتوافق مع مقتضياتها أيا كانت التكلفة التي تقع على نفسه. رفض أن يكون في واد وضميره في واد أخر. وتجرع السم في مقابل ألا يتناقض مع نفسه أو يخرق ما في الكون من خيرية. لقد اثبت أن بطوليته برهان أعظم ديناميكية واشـد إقناعاً من أي نسق فكري أخر ، كان الإثبات العملي على حقيقة أن البطولية أضيفت إلي السعادة."[٢٥٠]

٣- الإيمان بالنبوءات والرؤى والاشارات الدينية

رأيـنا أن علاقة سقراط بالآلهة من الصعب أن توصف بأنها كانت علاقة ازدراء ، بـل كانـت علاقـة احترام وإجلال كبيرين ، رأينا هذا في مفهومه النظري للتقوى ، ورأيناه ظاهراً قوياً في حديثه عن الصفات التي يعتبرها لائقة بالإله وبكماله ، ورأيناه أكثـر إشـراقاً فـيما أمـن به من وجود عناية إلهية في كل جوانب الكون ، عناية متمركـزة حول الإنسان في أساسها. وسوف نرى هذه العلاقة أيضا قائمة في تسليم سقراط العملي بتلقيه توجيها إلهياً علوياً في جوانب عديدة من سلوكه.

لقد أكد سقراط فيما سبق على أن لديه رسالة كلفته الآلهة بها ، وكان لديه شعور قوي بأهمية هذه الرسالة في جلب الفضيلة وبالتالي السعادة إلي البشر، وأفنى حياته في أداءها، لأن التقوى تستلزم منا الطاعة التامة للإله في أوامره. وأعلن في"الدفاع" أنـه قـد أفنى حياته في أداء هذه الرسالة الإلهية وأنه على أتم الاستعداد للموت في سبيل ذلك يقول"إنني أحترمكم أيها الأثينيون وأحبكم، ولكني أطيع الإله أكثر، وطالما بقي في نفس، وكنت قادراً على ذلك فلن أتوقف عن التفلسف فهذا هو ما يأمر الإله بـه."[٢٥١] لقـد اعتبر نفسه في خدمة الإله ومنفذاً لأمره وشعر أنه من العار عليه أن

---

249 - W. Ch. Greene: Op Cit, p.274.

250 - Ibid, p.276.

251- أفلاطون : الدفاع ، ٢٩، ص ١٤٤ .

يعصيه . وهنا نسأل : كيف توصل سقراط إلي اليقين في صدق رسالته وأنها فعلا تكليف من الإله وليست مجرد توهم عقلي أو حلم من أحلام اليقظة؟؟

تجمع الروايات التاريخية على أن سقراط كان يهتدي إلي أفعاله والتي أداها باقتناع باطني كامل في كل مراحل حياته اعتماداً على طريقين : طريق البرهان العقلي الجدلي، أو الاختبار الجدلي، والقيام بالفعل الذي يثبت صدقه في هذا الاختبار ، و طريق الإشارات والنبوءات العلوية التي كانت تأتيه من السماء ، ولا يملك إلا أن يطيعها . حيث أعلن في "إقريطون"صراحة بأنه كان في كل مراحل حياته رجلا عقلانياً لا يلتزم إلا بما يمليه عليه عقله حيث يقول في تبريره لقرار البقاء في السجن وعدم الفرار منه"إنني دائما وليست هذه هي المرة الأولي ما أكون من نوعية الرجل الذي لا يقنع بأي شيء سوى بالحكم العقلي الذي يبدو الأصوب لدي عندما أفكر عقلانياً في أمر من الأمور."[٢٥٢] أما الطريق الثاني فقد أكد فيه على التزامه التام بطاعة الأوامر التي تصله عبر القنوات العلوية حيث أعلن في "الدفاع" "أن أعيش متفلسفاً ومختبراً لنفسي وللآخرين فهذا أمر قد فُرض علي ــ وأنا أعلن ذلك صراحة ــ بواسطة الإله من خلال النبوءات والرؤى، وكذلك من خلال كل الوسائل الأخرى التي عبر وأمر الإله بها أي شخص من قبل بأن يفعل أي شيء."[٢٥٣]وأشار كسينوفون إلي نفس هذا التمسك السقراطي بطاعة الأوامر المرسلة إليه من السماء بلا نقاش فذكر أنه لو حدث وبدا له أن شيئاً ما قد أوحي إليه من خلال الآلهة ما كان من الممكن أن يقنع بالتصرف على نقيضه أكثر من إمكانية أن يقنع امرئ أن يتخذ كمرشد له في رحلة رجلاً مكفوف البصر أو شخصاً غير خبير بالطريق مفضلا إياه على من لديه نعمة البصر وخبرة كبيرة بالطريق ، وأنه اعتبر هؤلاء الذين يسلكون على نقيض ما يُحدد لهم بواسطة الآلهة حمقى، وأن سقراط كان يبخس من قيمة أي شيء بشري مقارنة بالمشورة الآتية من الآلهة.[٢٥٤]

ولما كان الحديث عن الطريق الأول يقع خارج نطاق مجال بحثنا، فسوف نقتصر على الحديث عن الطريق الثاني الذي بلغ سقراط من خلاله اليقين، سوف نتحدث عن سقراط المتدين الذي يتخذ الأوامر الصادرة إليه من صوت علوي غيبي هادياً في كافة الشئون الكبيرة والصغيرة على السواء. إذ أمن إيماناً قوياً في أن الآلهة تتدخل من خلال هذه الأساليب العلوية لإكمال المعرفة البشرية الناقصة ، طالما أن الآلهة هي وحدها التي تملك المعرفة الكاملة والمعصومة . لقد كان سقراط مؤمناً بأن الآلهة تولي العناية الأعظم بالإنسان بكل الطرق الممكنة ، وأنه لما كنا عاجزين ــ كما يقول في المذكرات ــ عن استباق ما يكون محققاً لمنفعتنا الشخصية فيما يخص المستقبل

252 - أفلاطون: إقريطون، ٤٦ب ، ص ١٨٦.

253 - أفلاطون : الدفاع ، ٣٣ج ، ص ١٥١.

254 - Xenophon : Op Cit, B1, ch. 3, 4, p. 21.

فـــإن الآلهـــة تمـــدنا بالمساعدة في ذلك من خلال نقل ما سوف يحدث لهؤلاء الذين يـــسألونها عن طريق العرافة ، وتعلمهم كيف يمكن لأفعالهم أن تغدو ملبية لمنفعتهم إلـــي أعظم الحدود.[٢٥٥] وأشار مرة أخرى إلي هذا القصور في المعرفة البشرية عندما حـــذرنا فـــي نفـــس المؤلف من أن ندعو الآلهة بأشياء معينة طالما أننا لا يمكن أن نعرف معرفة يقينية إن كان تحقيق دعاءنا سوف يكون أمراً طيباً لنا أم لا.[٢٥٦]

تـــنحدر إلينـــا روايات كثيرة لدى أفلاطون وكسينوفون تلميذي سقراط تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك بأن سقراط اعتمد على التوجيه السماوي في مواقف كثيرة من حياته . وكـــان هـــذا التوجيه يصل إليه من خلال ثلاث طرق : الإشارة العلوية والتي كانت معهـــودة لدى سقراط من كثرة ظهورها أمامه ، وهي ما يطلق عليه سقراط "الجني" δαιμόνιον أو "الصوت العلوي المألوف" وكان هذا المصدر للإبلاغ مصدراً شخصياً لا يـــراه ولا يسمعه سوى سقراط، ومن ثم كان ظاهرة باطنية سيكولوجية. والطريقة الثانية النبوءات التي تبلغها إلي سقراط كاهنة دلفي من خلال وسيط بينهما ، وبالتالي فـــإن هذا المصدر لم يكن قلبياً بل كان خارجياً يأتيه من خلال أشخاص آخرين غيره. ثم تأتي أخيراً طريقة حالات الجذب والغيبوبة التي كان سقراط يتعرض لها في بعض الأحيان. وسوف نتحدث بشيء من التفصيل عن كل مصدر منها.

إذ بالنـــسبة للإشـــارة العلـــوية ذكرت روايات كثيرة ومتنوعة لدى أفلاطون أن ســـقراط كان ينطلق في مناسبات عديدة من إحساسه الباطني بضرورة طاعة الأوامر الآتـــية إليه من القنوات العلوية ، حيث أعلن في أكثر من مناسبة أن الذي حثه على هذا الفعل أو الإمساك عن آخر الإشارة العلوية التي تأتيه فجأة من السماء.

ففـــي "فايدروس" نجد الإشارة العلوية تتدخل في مناسبات شديدة التفاهة في حياة ســـقراط فهي هنا تمنعه من المغادرة عقب أدائه بحديثه الأول في الحب قبل أن يلقى قصيدة .[٢٥٧] لقد نهاه الصوت من مغادرة المكان قبل أن يتقدم بقربان كفارة على ذنب اقتـــرفه فـــي حق الإله ، ويقرر أنه عراف ولكنه ليس عرافاً جيداً ، بل عراف طيب بشكل يكفي لأغراضه الشخصية. وفي "أتيديموس" طلبت منه وهو يهم بمغادرة غرفة خلـــع الملابـــس في الملعب أن يجلس ثانية.[٢٥٨] وفي "ألقبيادس الأولى" يقدم سقراط رفـــض الصوت العلوي قطع الصداقة التي بينه وبين الشاب الوسيم ألقبيادس مبرراً لرفضه الشخصي لهذه الصداقة. وفي "ثياتيتوس" تنصحه الإشارة العلوية بالعدول عن قبول الطلاب الذين لم يكن بمقدورهم الاستفادة من مناهجه التدريسية الراقية.[٢٥٩] وفي "الـــدفاع" تـــرد إشارات عديدة إلي "الجني" أو الإشارة ففي البداية يصفه سقراط بأنه

---

255 - Ibid, B1v, ch. 3, 12, p. 129.

256 - Ibid, B1, ch. 3, 2, p. 20.

257 - افلاطون : فايدروس ، ٢٤٢ ج ، ص ٦٣.

258 - Plato : Euthydemus,Trans by: M. A Jowett, The Dialogues of Plato, Vol.11, 272e, p. 134.

259 - أفلاطون : ثياتيتوس، ترجمة د/ أميرة حلمي مطر ، دار غريب ، القاهرة،١٥١،ص٣٤

ذلك حارس له وأنه ابن الاله.[٢٦٠] ثم بعد ذلك بأنه صوت حارس حيث يقول"إنه يداهمني بشيء إلهي أو روحي، والذي يورده ميلتوس في الدعوى . وقد بدأ في مرحلة الطفولة ولا يزال يأتيني حتى هذه اللحظة، نوع من الصوت الذي عندما أسمعه فإنه دائما ما يصرفني وعيداً عن شيء كنت في طريقي إلي فعله، ولكنه لم يحدثه في أي مرة من المرات أن أمرني بفعل معين، وهذا الصوت هو الذي منعني من المشاركة في السياسة."[٢٦١] ثم أعلن بعد ذلك صراحة أن سبب قبوله للإعدام " تنفيذ ما أوصى بعمله بواسطة الإله من خلال الإشارات والرؤى الإلهية" وأن الصوت الإلهي قد نهاه عن الاشتغال بالسياسة وأمره بقرض الشعر وهو في السجن.[٢٦٢] وعقب إدانته بخبر أصدقائه "لقد كانت معجزتي حتى الآن تلك المعجزة التي عهدتها في داخلي لا تفتأ ترجعني في تواقه الأمور إن كنت مقدماً على خطأ في أي شيء . والآن – كما ترون – قد داهمني ما يحسبه إجماع الناس أقصى الشرور وأقساها، ولم تلوّح لي معجزتي بعلامة المعارضة حينما تركت داري في الصباح، ولا حين كنت أصعد إلي المحكمة، ولا حين القيت كل ما اعتزمت أن أقوله .." واستنتج من ذلك الصمت أن الموت – والذي ينتظره في هذه اللحظة– لا يمكن أن يكون شراً.[٢٦٣] وفي الجمهورية يقول مفاخراً بنفسه "وأنا أهنئ في أن يكون أحد قط قبلي قد كان على ألفة مع صوت إلهي تحذيري كهذا الصوت." ويشير إلي أن هذا الصوت هو الذي حفظه من الاشتغال بالسياسة.[٢٦٤]

أما كسينوفون فإنه لم يرو الكثير عن هذه الإشارة العلوية ودورها في حياة سقراط ، وإن كان ينسب إليها وظيفة تمنعه عن عمل شيء أو تحثه عليه، وكان غرضه من الحديث عنها غرضاً دفاعياً بحتاً. حيث أشار في الكتاب الأول من المذكرات إلي أن سقراط اشتهر عنه استخدامه للعرافة، وأنه كان معتاداً أن يقول إن الإشارة العلوية قد علمته ، وكان قوله هذا المصدر الذي منه اشتق أعداؤه الاتهام القائل بإدخال آلهة جديدة.[٢٦٥] ويدافع عن سقراط في ذلك بأنه لم يدخل أي شيء جديد سوى تلك الأصوات والإشارات التي يستشيرها الممارسون للكهانة أصلا ، لكن بينما كان هؤلاء يفعلون ذلك بشكل غامض وسري ، كان سقراط يعلن صراحة أن الإله

260 - أفلاطون : الدفاع ، ٢٦ب ، ص٣٧ ، ٢٨أ ، حيث

261 - المصدر نفسه، ٣١ج – د ، ص ١٤٧ .

262 - المصدر نفسه ، ٣٣، ص ٥٠ .

263 - المصدر نفسه ، ٤٠ – ج ، ص ١٦٢.

264 - أفلاطون : الجمهورية ، ٤٩٦ ، ص٢٢٣

265 - وقد استنتج ذلك أرطيفون من أيضا في المحاورة السماه باسمه قائلا " فهو يتمسك بالعلامة المعهودة التي تأتيك من حين إلي حين كما تقول، ويقدمك إلي المحاكمة وأنه ليس أنك دون بدعة في الدين" أنظر المحاورة ص ١٣.

قائده ومرشده ، وقد أخبر الكثير من أصدقائه بأن يفعلوا أشياءً بعينها و يمتنعوا عن أشياء أخرى بعينها معلنا أن الإله قد أنذره بذلك ، وأن الذين أطاعوها قد جنوا المنفعة في حين اعتصر الندم هؤلاء الذين أهملوها .[٢٦٦]وفي موضع أخر من نفس الفصل روى كسينوفون أن سقراط لا يوصي البشر بضرورة أن يلجئوا إلي استشارة الآلهة في كل شئونهم فهناك أمور تركتها الآلهة ــ لكونها تقع في نطاق العلم البشري ــ للبشر بأن يفعلوها بذواتهم ومن يلجأ إلي الآلهة فيها اعتبره أحمقا ، وإنما على الإنسان أن يستشير الآلهة في الظروف المربكة والمختلطة على ذهنه فقط ، طالما أن الآلهة دائما ما تهب المعرفة لهؤلاء الذين يكونون سمحي النفس بشكل إيثاري.[٢٦٧]وفي الكتاب الرابع يذكر كسينوفون أن الإشارة تدخلت في محاكمة سقراط ومنعته من إعداد دفاع مسبق عنه قبل الجلسة.[٢٦٨]وذكر أيضا أن سقراط أوصى من أراد الوصول إلي ما فوق الحكمة البشرية بأن يدرس العرافة ، لأن هذا الذي عرف بواسطة أي الإشارات ترسل الآلهة بالأخبار إلي البشر فيما يتعلق بشئونهم لن يفشل أبداً في الحصول على النصيحة من الآلهة.[٢٦٩] وروى ديوجين لآيرتوس أن سقراط اعتاد القول بأن إشارته السماوية قد حذرته مسبقا من المستقبل.[٢٧٠]

لقد كان الإله ــ وغالبا الإله أبوللو ــ هو الذي يقف وراء ظهور الجني "الإشارة" لسقراط، ومن ثم نظرسقراط إلي هذا التدخل على أنه تدخل صائب بشكل معصوم في كل ما يوصي به من أمور تماما مثلما نتوقع أن تكون عليه هبة إله خير بشكل معصوم. وأحيانا ما يمتد كرم الإشارة في بعض الحالات إلي تحذير سقراط من مغبة الأفعال المعتزم القيام بها بواسطة الآخرين، ولكن للأسف لم يحدث في أي مرة أن أمدته هذه الإشارة بالمقومات النظرية العامة المشيدة للمعرفة الأخلاقية المتعمقة التي كان يبحث عنها . كل ما كانت تقدمه أمثلة جزئية لما يمكننا أن نصفه بأنه معرفة أخلاقية غير متعمقة.[٢٧١]ونستطيع من خلال قراءة روايات أفلاطون وكسينوفون أن نبين أن هناك فارقاً جوهرياً بين الاثنين : فأفلاطون لا يولي أهمية كبيرة لها ، فهي لا تحمل أي شيء من الأوامر الموجبة ، بل هي من نوعية لا تزال شديدة المحدودية ، وذات مدى شديد الضيق . أما كسينوفون فقد أعلي من شأنها ، واتخذ منها وسيلة للدفاع عن أستاذه وتبرئته ، لقد كان كسينوفون يُسر أيما سرور بجعل سقراط من نوعية المتنبئ أو بائع المعجزات. ومن ثم كانت رواية أفلاطون أقرب إلي الدقة وأقل جنوحا إلي المبالغة المثيرة للعواطف.[٢٧٢]وعلى ذلك يجيز نص كسينوفون لنا أن نعتبر

---

266 - Xenophon: Mem. B1, ch. 1, 2-4, pp.1-2.

267 - Ibid, B1, Ch. 1, 9, pp. 3-4.

268 - Ibid, B4, Ch. 8, 5, p. 150.

269 - Ibid, B4, Ch. 7, 10, p. 148.

270 - Diogenes Laertius: OP Cit, Vol. 1, 11, 32, p. 163.

271 - M. L. Mcphrran: Socratic Reason, p. 354.

272 - Th. Gomprez: OP Cit, Vol. 11, p. 87.

جنى سقراط كان نداء ضميره أو عقله نوعا ما، في حين لا يسمح لنا نص أفلاطون ـــ على الأقل في البداية ـــ بأي تأويل، ويمكن أن نفترض أن الجني السقراطي كان لدى أفلاطون يستغل ليدل على نوع من الهاجس المحتدم من "الحاسة السادسة" أو الغريزة الراقية التي تصرف سقراط في كل مرة عن كل ما هو مؤذي له.[٢٧٣]

وقد اختلف المؤرخون في تقديرهم لحقيقة هذه الإشارة العلوية ؛ ففي العصور القديمة ظهر الاختلاف الكبير حول حقيقتها فنجد البعض (ترتوليان ولا كتانس) المعادين بشدة للوثنية كانت تعني مخلوقاً شيطانياً ، في حين كانت للبعض الآخر (كليمانت السكندري أوغسطين) والذي يقف مقابل العالم القديم وكان أكثر اعتدالاً وتسامحاً رأوا فيها نوعا من الملاك الحارس.[٢٧٤] أما في العصور الحديثة فيذهب "تشارلز جرين"[٢٧٥] إلي "أنها ليست سوى حالة شديدة الخصوصية من العناية الإلهية المدبرة ، وأنها دليل على وجود نزعة صوفية قوية لدى سقراط ، ومما يؤكد هذا حالات النشوة والجذب تلك التي مر بها سقراط وسجلها أفلاطون في محاوراته." أما ألفرد إدوارد تيلور فذهب إلي أنه واضح من جميع الروايات أن هذه الإشارة كانت أبعد شيء في طبيعتها عن الضمير فلا علاقة لها إطلاقا بما هو صواب أو خطأ ، ولا يلجأ إليها في أمور تتعلق بالسلوك الخلقي ، وإنما غاية ما تصل إليه أن تكون نوعا من النذير الخفي بسوء الطالع.[٢٧٦] مما يدل على أن سقراط كان له بالفعل مزاج أصحاب الرؤى ، وإن كان على عكسهم قد أخفى هذا الجانب من طبيعته على نحو ما أخفى القديس بولس موهبته في التحدث بمختلف اللغات . ورأى ثيودرس جومبرتس أننا لا يمكننا أن ندرج هذه الإشارة العلوية في الفئة الخاصة بالهواجس الحقيقة ، ولا نوع من الاتصال المباشر بالإله ، ولا هي مجرد صوت الضمير ، وإنما نوع من الموهبة ، أو التقدير السليم الغامض لقدراته الشخصية نابع من التيارات اللاشعورية الكامن خلف مجرى الحياة السيكولوجية.[٢٧٧] في حين يذهب ثيوكاريس كيسيديس إلي أن الإشارة الإلهية وجهت سقراط إلي الدستور الأخلاقي الكوني ، وإلي ضرورة الخضوع التام له، كان يتعرف على مشيئة الإله عن طريقها.[٢٧٨] إننا نرى فيه نداء الضمير والعقل ، أو التعبير المجازي للرشد. وننتهي نحن من جانبنا إلي اعتناق رأي كورا ميسن والذي قررت فيه أنها لم تكن إلهاً خاصاً صغيراً بداخل سقراط كما ظن البعض ، ولم تكن ضميراً يخبره بما كان قاسياً وما كان رحيما . لقد سارت هذه الإشارة المقدسة طريقة جديدة بأسرها من طرق التفكير بشأن الآلهة ، طريقة لو

---

273 - ثيوكاريس كيسيديس: المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

274 - المرجع نفسه ، ص ٢١١ .

275 - W. Ch. Greene : OP Cit, p.274.

276 - ألفرد إدوارد تيلور : سقراط . ترجمة أحمد بكير خليل، مكتبة نهضة مصر،القاهرة، ص ٣١ .

277 - TH. Gomprez: OP Cit, Vol.11, p.88.

278 - ثيوكاريس كيسيديس : المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

أخطـر بها سقراط أكثر أهل المدينة ما فهموها ، وهي أن الآلهة تعني بالناس ، وقد عرف سقراط ذلك لأنه أحسه ، وهي طيبة وخيرة لا ترسل إلا بالخير.[٢٧٩]

لكن ما الذي ينبغي أن يحدث في الموقف الصعب الذي لا يمكن للعقل فيه أن يبت بقـرار ؟؟ تخف الآلهة ــ في تقوى سقراط ــ إلي نجدتنا . والمساعدة التي ترسلها حـد لا يمكـن أن يكون من بعده إلا الطاعة التامة. ومع ذلك فهذه الإشارة العلوية لا تقـدم أيـة معرفة محددة، لا تقترح أي فعل محدد، كل ما تقوله فحسب هو "لا" ، أي تمنعه من قول أو فعل أي شيء سوف يؤدي إلي نتائج سيئة ، ويطيع سقراط ذلك بلا أدنـى محاولـة من جانبه للاعتراض ، إنه لا يلجأ إليها كتبرير ، وإنما كل ما يفعله فحسب هو أن يسلم بها كأمارة أو علامة.[٢٨٠] والواقع أن هذه الإشارات الإلهية دائما ما كانت تنصب على النتائج المستقبلية الضارة ، وبشكل خصوصي تلك النتائج التي لا يكـون التنـبؤ المعقول بها متاحا لسلطة العقل البشري ، لأنها باختصار نوع من التنبؤ ولكن سقراط لا يمارس دور المتنبئ الماهر.[٢٨١] ومن المحتل أن هذا ما قصده أفلاطـون بتأكـيده فـي "أوطيفـرون" مـن خلال المناظرة التي يعقدها بين سقراط وأوطيفـرون ، فكلاهما لديهما اهتمام واحد بالمسائل اللاهوتية ، وكلاهما متنبئ يتنبأ بالأحـداث المستقبلية، ولكن بينما يتنبأ أوطيفرون بأحداث المستقبل من أجل مصلحة الجماعـة الدينية، فإن سقراط هو المتلقي المتفرد " لإشارة سماوية" نبوئية تحذره من الاقتـراب مـن مـسالك الأفعال الضارة.[٢٨٢] لقد كان سقراط يطيع الإشارة انطلاقا من دوافع التقوى فلأن الإشارة آتية من الآلهة التي تعرف كل شيء وهي في نفس الوقت آلهـة خيرة ، فإن طاعة هذه الإشارة سوف تجلب الخير والسعادة حتما. ويوحي هذا بـأن هذه الإشارة العلوية كانت خاضعة لنفس الضوابط والقيود الأخلاقية مثل الآلهة نفـسها والبشر على السواء. ومن ثم يمكننا أخذ استجابات سقراط للأوامر الآتية من الإشـارة العلـوية دلـيلاً علـى تقـواه الدينـية واتجاهـه الشخصي نحو الأوامر الإلهية.[٢٨٣] وذلك لأن اعتقاد سقراط بوجود جني اعتقاد يقوم على الإيمان في إله ما. وعلى الاعتقاد الراسخ بوجود صلة وثيقة بين هذا "الجني" وبين الإله الخارجي. إن سـقراطاً لا يدرك فقط وجود جنيه ، وإنما يتصوره حياً، ويدركه كحقيقة عليا "كرمز إلهـي"، كان الجني عنده ما في نفسه من جانب إلهي، أو الشيء الإلهي في الإنسان الـذي يصرفه عن كل ما هو ذاتي. وسقراط هنا لا ينفك متدنيا بعمق يتمسك بمعرفة مـشيئة الإلـه عـن طـريق العرافة.[٢٨٤] لذلك وجد البعض في قول سقراط بالإشارة السماوية دليلاً على إيمان سقراط الشديد بإله في السماء يرسل بها إليه وليس دليلا

279- كورا ميسن : المرجع السابق ، ص ٣٠- ص٣١ .

280 - K. Jaspers: OP Cit, p.11.

281 - M. L. Mcphrran: Socratic Reason...., p.354..

282 - Ibid, p.350.

283 - C. D. C. Reeve: Op Cit, p.69.

284- نيوكاريس كيسيديس: المرجع السابق، ص ٢١٤.

علـــى إلحاده الشخصي كما زعم ميلتوس. وكان هذا ما ساقه فعلا سقراط في الدفاع فمن يؤمن بشأن من الشئون الإلهية من أي نوع فلابد حتما أن يؤمن بالآلهة من باب أولـــى طالمـــا أن الإشـــارة السماوية إما أنها آلهة أو أبناء آلهة عند سقراط ، ومن الممكن سوق هذا البرهان على هيئة قياس على النحوالتالي:[٢٨٥]

كل من يعترف بشكل من أشكال الألوهية مؤمن بالآلهة حتما

سقراط يعترف بشكل من أشكال الألوهية

سقراط مؤمن بالآلهة حتما

ويلاحـــظ المـــتأمل لما ساقه كل من أفلاطون وكسينوفون من روايات حول جني ســـقراط أن أســـتاذهما فـــي هـــذا الجانب التطبيقي للتقوى كان تقليدياً محافظاً على المعـــتقدات الدينـــية المتوارثة، لقد كان هناك في عصره المتنبئون والعرافون الذين كانوا يدعون على الناس اتصالهم بالقنوات العلوية الإلهية بطرق عدة شبيهة بطريقة ســـقراط. إنـــنا رغـــم كوننا نعرف أن سقراط قد كان ناقداً لبعض السمات القائمة في الصورة التقليدية الدينية لعصره إلا أنه هنا وفي هذا الموضوع بالذات لا نراه يخرج عمـــا هو شائع.[٢٨٦] فضلا عن أن سقراط نفسه لا يرى أي شيء مخطئ أو غير ورع فـــي اعـــتقاده في إشارته السماوية ، ولا يعطي أي تلميح على أنه فهمها على أنها موضـــع اهتمام من قبل القضاة . لم يكن سقراط متقدما على عصره في هذا الجانب مـــن شخـــصيته بـــل كان فكره فكر رجل عادي من رجال عصره. حيث سلم بلا أدني نقـــاش بالـــرأي التقليدي بأنه يوجد جنبا إلي جنب العالم المادي ، عالم آخر مسكون بموجـــودات غامـــضة مشخـــصة مثلنا ، ولكن لديها ـــ على خلافنا ـــ القوة على أن تـــتدخل متى تشاء في النظام ألعلي الذي تلتزم به أفعالنا مؤثرة عليه وتغيره بشكل لا يمكـــن حـــسابه ممـــا يعـــود بالنفع أو الضرر علينا.[٢٨٧]لكن سقراط كان يختلف عن معاصـــريه في أنه لا يعين أي وسيلة أخرى غير الإشارة السماوية "الجني" للإخبار ، فلـــم يحدث قط أن ألصق مثل هذا الدور بأي واحد من الأحداث الطبيعية غير المألوفة والتي كان يعتبرها معاصروه من "النذر" ولم يشر إلي أي واحدة من الظواهر الغريبة "الكسوف أو الخسوف" على أنها إشارة إلهية.[٢٨٨]

ولكن كيف كان الجني يتصل بسقراط ؟ وكيف كانت طريقة التفاهم بينهما؟؟ لا أمل في الوصول إلي إجابة على هذين السؤالين في ظل صمت مصادرنا التام عن تحديد ذلك. ولكن الحقيقة التي لا جدال فيها أن هذا الجني كان يتصل بسقراط ، وأن ظهوره له في حياته كان واحداً من الأساليب العديدة التي كشف بها عن سلطته على سقراط التي لا يمكن ردها. وكل ما يمكن قوله هو أن سقراط كان يستسلم لما يصدر إليه من الجنـــي استسلاماً كاملاً. وإذا كان لنا أن نصدق رواية كسينوفون السابقة فإن سقراط

---

285 - Th.C. Brickhouse& N. D. Smith, The Formal charges, pp.476-477.

286 - Ibid, p.477.

287 - G. Vlastos: Socrates, p.157.

288 - Ibid, p.166.

نسب إلي نفسه اعتمادا على قوة هذا الجني هبة رسولية ذات طبيعة شديدة الخصوصية، حيث تنبأ بالمستقبل واستخدم حكمته هذه في حث أصدقائه على فعل هذا الفعل أو الإحجام عن آخر، وتحقق الخير لمن تبع النصيحة والحسرة لمن أهملها.

والطريقة الثانية ذات ارتباط وثيق بأخذ سقراط بتحذيرات الإشارة السماوية ، وتمثلت في إيمان سقراط الكامل في صدق النبوءات الآتية من العرافة . إذ لم يكن اتجاه سقراط من فنون العرافة مختلفا عن اتجاهه السابق من الكائنات العلوية . لقد حمل سقراط تقديرا لا حد له لكاهنة دلفي ، كما أن حرم "أبوللو" المقدس قد كسب من قبل ذلك تعاطف سقراط عن طريق النقش المدون على جدرانه والقائل "اعرف نفسك" والذي أصبح واحدا من الأقوال الأثيرة إلي قلبه وفكره.[٢٨٩] لقد لعبت النبوءة دوراً عظيما في حياة سقراط ، إذ كلنا يعلم أن سقراط كرس حياته للبحث الفلسفي اعتماداً على تصديقه لنبوءة كاهنة دلفي ، بل ويمكن القول بأنه دفع حياته ثمنا لذلك.

لا يرد ذكر النبوءة التي جاء بها خريفون إلا لدى أفلاطون ، أما كسينوفون فلم يذكرها أبداً في كتاباته، ولكنه مع ذلك يشير في الفصل الرابع من الكتاب الأول من المذكرات إلي أن سقراط يعتبر النذر والعلامات التي ترسلها الآلهة إلي الأثينيين جميعا من خلال العرافين والكهان ، والتي تبين لهم ما ينبغي عليهم فعله ، وما لا ينبغي مظهرا دالا على العناية الإلهية بالعالم أجمع ، ولا يبدي سقراط هنا أي تشكك في صدق النبوءات التي تتلفظ بها الكاهنات عندما يستشيرها الناس.[٢٩٠]

لسنا نعرف التاريخ الدقيق لرحلة خريفون إلي معبد دلفي التي عاد فيها بهذه النبوءة، ولكن من المرجح بشدة أنها كانت في صدر حياة سقراط عندما كان في الثلاثينات من عمرة كما يقول جثري.[٢٩١] نستدل على ذلك من تركيز سقراط الشديد على هذه النبوءة في دفاعه أمام المحكمة. ورجح ألفرد تيلور أن يكون سقراط قد مر بأزمة روحية في منتصف حياته نتيجة لجواب العرافة هذا وخرج منها وهو على بينة بأن له رسالة كلفه الإله بها ، ومن المحتمل أن هذا التكليف جاءوه خلال حملة بوتيديا تلك الحملة التي وقعت له فيها الغيبوبة التي استمرت أربعاً وعشرين ساعة وجاء ذكرها في "المأدبة".[٢٩٢] ومما يؤيد ذلك أن سقراط بعد هذه الحملة مباشرة يحاول أن يحول إلي عقيدته شاباً توسم فيه الخير هو خارميدس عم أفلاطون.[٢٩٣] لقد أخبرت الكاهنة خريفون بأنه "لا يوجد من هو أحكم من سقراط بين اليونانيين." وأخذ سقراط هذه النبوءة مأخذا جاداً ، واعتبرها نقطة تحول في حياته على حد وصف أفلاطون في "الدفاع" فقد اعتمد دفاع سقراط اعتماداً شبه كامل عليها، حيث نراه يحكيها بالتفصيل للقضاة ، ويذكرهم مراراً وتكراراً أنه يلتزم بهذه الرسالة باعتبارها

---

289 - Th. Gomprez: OP Cit,Vol.11, p.87.

290 - Xenophon: OP Cit, B.1, ch.4, 15, p.27.

291 - W. C. K. Guthrie: Op Cit, pp.85-86.

292 - أنظر تفاصيل الواقعة في : أفلاطون ، المأدبة ، ص ٨٠.

293 - ألفرد أدوارد تيلور: سقراط ، ص ٦٤.

واجبا مقدسا ، موليا لها من الشرف والتقدير فوق أي شيء أخر، رغم أنها لم تجلب عليه سوى الفقر وعداوة المحيطين به.[٢٩٤] كما ذكر ديوجين لآيرتوس هذه النبوءة أيضا و روى أن سقراط أضحى بسببها موضع حسد وحقد عظيم خاصة وأنه كان قد أخذ على عاتقه مهمة أن يثبت أن هؤلاء الذين كانوا يتسامون بأنفسهم ليسوا سوى حمقى ، وأنه الوحيد الجاهل ويعرف أنه كذلك .[٢٩٥] واعتماداً على هذه الشواهد التاريخية هناك من يقرر أنه لا شيء من كل الأنشطة التي قدمها سقراط قد أثار الغضب في نفوس متهميه ما يعادل في القوة ما إثارته فيهم "الرسالة الإلهية" التي يحكي لقضاته عنها ويذكرهم مراراً أنه يلتزم بها باعتبارها واجباً مقدساً.[٢٩٦]

لم يكن من قبيل الدعاية إذن أن أقحمت النبوءة في دفاع سقراط ، إذ لن يكون لهذا الإقحام معنى إلا إذا كان قد قصد منه تسجيل حقيقة تاريخية هي أن سقراط مر بأزمة خرج منها وهو على بينة من أن له رسالة، وأن جواب العرافة كان له أثر في إثارة هذه الأزمة. ولا كان ما قاله أفلاطون عن النبوءة مثالا مضروبا على سخرية سقراط كما ظن البعض.[٢٩٧] لأنه من غير المحتمل إلي حد عظيم أن يكون سقراط قد لجأ إلي مجرد التهكم في أمر بهذه الحيوية لدفاعه ، حيث يذكر سقراط قضاته مرارا أنه لا يقول في هذه الأمور سوى الحقيقة ، ولو كان معرضاً لمخاطرة أن يُساء فهمه فيما يتعلق بنقطة جوهرية كهذه لكان مقترفاً لنفس اللون تقريباً من التلاعب الخطابي غير الأمين والذي يدين من أجله هو نفسه المدعين عليه.[٢٩٨] ولا كان اختبار سقراط لصدق النبوءة الذي قام به عقب سماعه لها محاولة منه لإثبات كذبها كما ظن جون بيرنت فهذا ظن مبني على سوء فهم لمقصد سقراط الحقيقي ، حيث أنه لم يقصد التشكك في صدق النبوءة بل قصد دحض المعنى الظاهر على السطح للنبوءة ، ولا يمثل هذا محاولة إلحادية من جانبه لإثبات خطأ الإله ، وإنما محاولة لفهم ما سعى الإله إلي نقله له. فما فعله كان محاولة لتعزيز الرأي الذاهب إلي أنه نظر إلي التقوى على أنها تنص على ضرورة أن يضع "شأن الإله" دائما في الأولوية المحضة . اختبرها لتعيين الحقيقة الكامنة خلف معناها الظاهري وهو واثق تمام الثقة في أنها تتضمنها.[٢٩٩] ويبدو أن كسينوفون نفسه أحس بهذا التشكيك في احتمالية أن يكون سقراط قد أدخل النبوءة للدعاية حيث قال " من ذا الذي يمكنه أن ينكر أن سقراط لم يكن يتمنى أن يبدو لأصدقائه في مظهر الأحمق ولا في مظهر المتفاخر المتباهي؟؟ ولكنه كان سوف يبدو بهذين المظهرين لو حدث وثبت أنه مذنب بالكذب بعد زعمه بأن الأقوال مُنحت له من الإله. وبالتالي فمن الجلي أنه ما كان له أن يتلفظ قط بأي

294- أفلاطون : الدفاع ، ٢٠ ج ، ص ١٢٤.

295 - Diogenes Laertius: Op cit, Vol. 1, 11, 38, p. 169.

296 - Th. C. Brickhouse &N.D. Smith, Socrates on Trial , p. 87.

297 - Ibid, p.89, N 71

298 - . Ibid, p. 89.

299 - Ibid, p. 96.

تنبؤات ما لم يكن واثقاً من أنه سوف تثبت صحتها."[٣٠٠] وقد رد جثري على هؤلاء الذين تشككوا في جدية ذكر النبوءة اعتماداً على حجتين هما : أن سقراط لم يكن من نوعية الرجل التقي المخلص للعقيدة بالشكل الذي يسمح له أن تشكل حياته كلها بالنبوءة. الثانية أن سقراط نفسه أبدى الشك في صحة النبوءة في رد فعله الأول عند سماعها مما يدل على أنه لم يأخذها مأخذ الجدية . حيث يدحض جثري الحجة الأولي بقوله" إننا لو سلمنا بأن اتجاه سقراط نحو العقيدة لم يكن حميمياً ، لكان سوف يوجد هناك مبرر سيكولوجي قوي لاستجابته للنبوءة بهذه الطريقة . فعندما يكون العقل سهياً من قبل بإن المناسبة الفعلية التي تؤدي إلي مثل هذا الدفع إلي الفعل لا تحتاج لأن تكون خطيرة. أما رده على الحجة الثانية فيرى أنها حجة مبنية على سوء فهم للطريقة التي استجاب بها سقراط للنبوءة ، فلم تكن معبرة عن شك في صدق النبوءة ، وإنما عن حيرة في تفسيرها لأن سقراط تسأل مباشرة بعدها : ما الذي يمكن أن يقصده الإله؟؟ ما هو تفسيره ؟ ما الذي يعنيه بأنني الأحكم ؟ لا يمكن أن يكون كاذباً فهذا مما لا يجوز في حقه . ومن ثم فسقراط يعلن هنا رفض المعنى السطحي للنبؤة ورفض أن تؤخذ كلماتها مأخذاً سطحياً ، بل يجب معالجة اللغز المنطوية عليه وهذا ما شرع فيه سقراط فوراً وتوصل إلي أن الإله مستخدم سقراط كمثال من اجل القول بأن الشيء الأحكم الذي بوسع البشر فعله هو أن يفعلوا ويدركوا جهلهم الشخصي."[٣٠١] صحيح أننا نتفق مع جثري وبريكهاوس في الرأي القائل أن النبوءة لم تكن تمثل أمراً لسقراط ، بل كانت رسالة أبلغته بها الآلهة ، صحيح أن سقراط دائماً ما يتكلم بطريقة توحي بأنه يعتبر الإله وكأنه يلقى إليه بالأوامر بطريقة مشابهة لكونه شاغلاً لموقع عسكري ، لكن هذا لا يعني أنه قد تلقى أمراً عسكرياً من الإله بذلك ، بل استجاب للنبوءة بهذه الطريقة شديدة الجدية لأنه اعتبرها تعبيراً عن اهتمام الإله بطريقة تثمر ـ عند امتزاجها بالتزام سقراط باتباع رغبات الإله ـ برسالته . ومن ثم فإن الإله قد أعطى سقراط "موقعه" بهذه الطريقة حتى على الرغم من أن النبوءة لا تمثل في حد ذاتها أمراً.[٣٠٢]

لقد وضعت نبوءة دلفي سقراط في طريق خدمة الإله ، ولم يكذب سقراط خبراً فكرس حياته كما رأينا من أجل ذلك ، فأصبح منهجه في فحص معنى النبوءة استجواباً متواصلاً للأثينيين في نواحي مختلفة للحياة من أجل رفع درجة الحكمة والفضيلة في نفوسهم ، واستمر سقراط في هذه الممارسة بنفس الصورة التي كان عليها قبل اكتشاف الدرس المستفاد من النبوءة ، إذ ولأنه تعلم الدرس بنفسه فقد أحس أن مشيئة الإله تفرض عليه ضرورة أن ينقله للآخرين، فيحررهم من التظاهر الكاذب بالحكمة ، ويحثهم على العناية بكمال نفوسهم وفضيلتها ، وأن يحررهم من الخضوع للجري وراء الأشياء المادية . ومن ثم لم يعتقد سقراط أن النبوءة وُجهت إليه بشكل

---

300 - Xenophon: Op Cit, B1, ch.1, 5, p.2.

301 - W. C. K. Guthrie : Op cit, pp. 86-87.

302 - Th. C. Brickhouse & N.D. Smith: Socrates on trial, p. 95, N 79.

شخـصي ، وإنما يرى أنها موجهة إلي الجنس البشري عامة.[٣٠٣] فلم يكن استخراج سـقراط من جواب العرافة بأنه لا يوجد من هو أحكم من سقراط تكليفاً له بالتفلسف فـي شـوارع أثينا استخراجاً لأرنب من قبعة كما يفعل السحرة كما يحلو للبعض أن يـشبهه ، ولا كـان ضرباً من جنون العظمة ، لأن سقراط لا يجعل عملية الاستخراج هـذه عملية سرية ، بل يعلنها صراحة على الملأ "أمرني الإله كما اعتقد أن أمارس عملية التفلسف فاحصاً نفسي والآخرين." فضلا عن أن هذه النبوءة لم تكن بأي حال من الأحـوال الإشـارة الوحيدة التي تلقاها سقراط بل كانت الأولى من بين كثيرات ، ولا شك أن بعضها قد جاء من إشارته الإلهية الشخصية.[٣٠٤] وهذا ما قصده سقراط عندما قال "لقد أمرت أن أفعل ذلك من خلال النبوءات ، ومن خلال الأحلام وكل الوسائل الأخرى التي من خلالها قد أمرت الآلهة أي امرئ بأن يفعل أي شيء من قبل."[٣٠٥] ومن ثم نتبين أن النـبوءة لعـبت دور المفـسر والموضح لرسالة سقراط ، إنها ربطت حياة سقراط الفلـسفية بالإيمان الورع بالإله . لعبت دوراً في بناء اقتناع سقراط بأنه يتعين عليه أن يقـضي بقـية حـياته في خدمة الإله . ولكنه لم يكن الدور الكامل ، إذ كان هناك عنصر أخر ساهم في هذا بشكل لا يقل عن النبوءة وهو عقل سقراط الناقد الجدلي.[٣٠٦] لقـد أخـذ سقراط النبوءة بجدية متناهية، صحيح أنه كان مؤمناً ــ قبل النبوءة ــ بأن الـتقوى تـستطلب مـن الإنسان كما رأينا الانخراط في الخدمة الخالصة للإله ، إلا أن النـبوءة والإدراك التالي بعدها لمعناها جعله يفهم لما أراده الإله من البشر أعظم مما سواه وهو : التخلي عن التظاهر بالحكمة ، وأنهم ما لم يصلوا إلي الفضيلة ــ الخير الأسـمى ــ فلـن تفيدهم اهتماماتهم المادية هذه شرو نقير.[٣٠٧] لذلك كتب فلاستوس يقول " إذا لم يكن هناك هذا الأمر الإلهي الذي وصل سقراط من خلال رواية خريفون فلن يكون هناك مبرراً للاعتقاد في أنه كان من الممكن أصلاً أن يغدو فيلسوفاً متجولاً يبحث عن الحكمة من خلال برهانه الجدلي في عقول المحيطين به."[٣٠٨]

وبـناءً على ما تقدم فإن الإجابة التي نراها صائبة على السؤال الذي كثيراً ما طرحه دارسو سقراط حول ما إذا كانت النبوءة هي السبب الذي دفع سقراط إلي أن يعيش حياة الفحص الفلسفي أم لا: أن النبوءة كانت مجرد دافع إلي جانب دافع أخر ، كان يوجد إلي جانب هذا الدافع الديني دافع عقلي أخر كما يقول ليفي تمثل في قناعة سـقراط بـأن الحـياة المدروسة والمخطط لها أسمى حياة لموجود بشري ، ومن ثم ينبغـي على المرء أن يفعل ما يعتقد أنه الأسمى حتى ولو تعرض لمخاطرة الموت ،

---

303 - Ibid, p. 88.

304 - G. Vlastos: Op Cit, pp. 171-172.

305 - أفلاطون : الدفاع ، ٣٣ د ، ص ١٥١.

306 - Th. C. Brickhouse & N.D. Smith: Socrates on Trial, p. 90.

307 - Ibid, p. 99.

308 - G. Vlastos: Socrates, p. 177.

وكـــان الـــدافعان مستقلين احدهما عن الأخر.[٣٠٩] لذلك فإن أفلاطون في عرضه لدفاع ســـقراط جعله يصف النبوءة بأنها نقطة التحول المركزية في حياته ، علاوة على أنه كشف كيف أن النبوءة أتاحت له الأعمال المتميزة والتي يقول أن واجبه يلزمه بأدائها، وهـــي الأنشطة التي لم يكن بوسعه التخلي عنها ما دام حياً . ويكشف أخيراً كيف أن ذكـــر النبوءة يلعب دوراً جوهرياً في رد سقراط على متهميه الأوائل والمتأخرين على الـــسواء.[٣١٠] وهناك من يقدم إيضاحاً شيقاً للسبب الذي جعل سقراط يفهم النبوءة على أنهـــا أمر إلهي بممارسة التفلسف هو أن هذا الفهم يقام على مفهوم سقراط للتقوى فطالما أن التقوى عنده إلتزام بخدمة الآلهة بالأسلوب الخاص بالعبد والسيد في نشر الخيـــر، فإن الإله في النبوءة قد قال شيئاً للسقراط "العبد" وجده غامضاً ، ولما كان أي شيء يقوله سيد لخادمه اعلان بخدمة مطلوبة من العبد ، فإن سقراط لذلك يفهم على أن جزءاً من واجبه التقي أن يكتشف المعنى الكامل وراء دعوى الإله هذه.[٣١١]

ولكـــن هل كانت النبوءة السبب في الشهرة التي حازها سقراط كحكيم يقلده الكثير مـــن الشباب الأثيني في منهجه الجدلي؟ من المؤكد أن سقراط كان فعالاً ومؤثراً من الناحـــية الفلـــسفية مـــن قـــبل الوقت الذي حدثت فيه رحلة خريفون ، وقد سبق أن أوضـــحنا ذلـــك مـــن قبل، واستفاض في تبريره "بيركهاوس"[٣١٢] وما يمكننا قوله في نهاية حديثنا عن إيمان سقراط بالنبوءات الآتية من العرافين كطريقة للإخبار الإلهي أن ســـقراط قـــد نقل هذا الإيمان إلي حديثه عن الإلهام الشعري ، حيث رد في محاورتي "الدفاع" و"ايون" أقوال الشعراء العظيمة إلي مصدر الإلهام الإلهي ، فلا فضل للشاعر فـــي هذا الابداع ، بل هو عطاء من الإله ولا يمثل معرفة شخصية لدي الشاعر يقول" لعلني سرعان ما أدركت أن الشعراء يبدعون اشعارهم ليس من خلال المعرفة، وإنما بنوع من الهبة الفطرية، وفي حالة من حالات الإستلهام المثيرة للإعجاب دون معرفة أي شيء عن الأمور التي يتحدثون عنها."[٣١٣] وفي أيون يعتبر أن هناك إلها داخل الشاعر أو هـــو مـــسكون بالإله. حيث يقول "في الغيبوبة الإلهية يتم التحدث بعباراته مثيرة للاعجاب بواسطة الشعراء، و لا يجب أن تثير الدهشة لأن الإله هو نفسه الذي يتحدث إلينا مـــن خلالها." ولكن هناك فرق بين الإلهام الشعري وأقوال العرافين من جانب وبين ما حـــدث لـــسقراط مـــن نـــبوءات سماوية؛ أولاً: لأن الذي يتملك الشعراء والكهان الإله فيتكلمون بكلامه في حين أن سقراط لا يشخص مصدر اشارته السماوية ، ولا يدعي

309 - C. D. C. Reeve: Op Cit, p.70-p.71.

310 - Th. C. Brickhouse & N. D. Smith: Socrates on Trial, p. 98.

311 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety, p. 308, N.75.

312 - Th. C. Brickhouse & N. D. Smith: Socrates on Trial, p. 94-

313 - أفلاطون : الدفاع ، ٢٢ج ، ص ١٢٩.

أن الإله يحل فيه ، ثانياً لا يكون سقراط غائباً عن وعيه اثناء اتصاله بالاشارة مثلما هـو الحال مع الشعراء بل يظل شعوره يقظا جنباً إلي جنب القوة الإلهية المتسلطة . ثالثاً وأخيراً يوجد في موقف سقراط نوع من التقييم العقلي للرسالة الآتية من السماء في حين لا وجود لهذا التقييم عند الشعراء والكهان ، بل يكونون في حالة من غياب الوعي ترجع إلي تدفق القوة الإلهية ، وينتهي مارك مكيفران إلي القول " يمكنني أن أعتـرض بأعلـى صوت ضد أخذ الإشارة السماوية على أنها متضمنة لحلول التجلي الإلهي محل الشعور الإنساني عند سقراط."[٣١٤] وبالتالي فلا تمد الإشارة سقراط بوحي إلهي بالمعنى الدقيق لذلك ، طالما أنها تحتاج إلي تفسير غير مرشد إليه عن طريق الإله ، ولكنها على اية حال تمده بكشف عن شيء ما لم يكن يدركه من قبل "موهوب من الإله". ويرجح فلاستوس أن يكون سقراط قد نشر بين تلاميذه إيمانه الشديد هذا بالعرافة ، وأن نيكاس ــ القائد الحربي وتلميذ سقراط ــ لولا تلمذته لسقراط ما حدث لـه التـشاؤم عندما رأى خسوف القمر في سهل سيرقوصة في ٢٧ أغسطس ٤١٣ ق.م فأخـذ بإنذار الكهان فانسحب من المعركة، وكانت النتيجة هزيمة ساحقة لأثينا ، وأن نيكاس ما كان سوف يفعل ذلك لو كان أستاذه هو أنكساجوراس.[٣١٥]

نـصل أخيرا إلي الطريقة الثالثة والأخيرة للتوجيه السماوي الصادر إلي سقراط ويـسلك بـناءً علـيها بلا تردد كمظهر يجسد جانب التقوى لديه : إنه حالات الجذب والغيـبوبة الـروحية التي أحيانا ما كان يتعرض لها سقراط في عدة مناسبات . أمن سـقراط بقـوة بـأن هـناك بعض المناسبات التي من الممكن أن تكمل فيها المعرفة البـشرية بواسطة مصادر المعرفة الإلهية مثل الأحلام والنبوءات ، ومع ذلك فلا ينبغي أن يُنظـر إلـي هـذه المصادر على انها مناهج نموذجية جاهزة للبحث.[٣١٦] وقد ذكر أفلاطـون عـدة مواقـف تعرض فيها سقراط لحالات من الغيبوبة الروحية فترة من الوقت، وامتد أحدها لما يقرب من أربع وعشرين ساعة.

ففـي "المأدبـة" يـروي ألقبيادس رفيق سقراط في المعسكر الأثيني في معركة بوتـيديا أنـه ظل واقفاً ليلة كاملة شخصا ببصره إلي السماء وانصرف عند الفجر. صـحيح أننا لم نعرف ما كان يفكر فيه سقراط في هذه الليلة إذ لم يخبر أحدا بذلك ، ولكن ترجح كورا ميسن أنه ربما وثق من رسالته خلالها بينما كان في خدمة الجيش ، ربمـا أحس القربى من الآلهة خاصة في تلك اللحظة التي كان من الطبيعي له فيها أن يـؤدي صلاته عند الفجر.[٣١٧] وروى أرستديموس في "المأدبة" أيضا توقف سقراط فـي الطـريق وغـيابه عن الوعي فترة قبل الدخول إلي مأدبة أجاثون ، وأشار إلي عادتـه الشاذة في أن يستقل بعيدا ويقف حيث يتصادف أن يكون ويغيب عمن حوله

314 - M. L. Mcphrran: " Socratic Reason and Socratic Revel., pp.360-363.

315 - G. Vlastos: Op Cit, p. 160.

316 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety, p. 300.

317 ـ كورا ميسن : المرجع السابق ، ص ٨٢- ص ٨٣.

فترة[318] كما كانت تأتيه أحلام في النوم يفسرها على انها تحذيرات إلهية ؛ ففي "فيدون" نكر أنه كثيراً ما كان يأتيه حلم بأن يعزف موسيقي ، وكان قد فسر الحلم بأنه يعني ضرورة أن يمارس الفلسفة طالما أن الفلسفة هي الموسيقي الأسمى ، ثم يترايع وهو في السجن عن هذا الفهم ويقوم بنظم قصيدة شعرية طاعة للحلم.[319] لكن هناك فرق بين الأحلام التي كانت تأتي سقراط والاشارة السماوية ، فالأحلام لا تمثل لسقراط شيئا فريدا كما كانت الإشارة ، ثانياً لا يأخذ الأحلام على أنها تمده بمعلومة موثوق فيها ، في حين كان يأخذ حالات ظهور الاشارة السماوية على أنها مصدر معصوم للتوجيه الموثوق فيه. وأخيراً لا تُخضع الأحلام لقوى العقل النقدي التفسيرية الحرة من جانب سقراط كما كان يفعل مع الإشارة السماوية ، صحيح أن سقراط نظر إلي بعض الأحلام نظرته إلي حالات الإشارة السماوية على أنها محتوية على بذرة الحقيقة اليقينية ، ولكن بدت له رسائل الاشارة مؤلفة ــ على خلاف الأحلام ــ من بذرة باطنية ذات معنى محدد وفريد لا يكون قابلا للشك.[320] وإذا كان فردريك كوبلستون قد أرجع مثل هذه النوبات من الذهول تركيز ذهني شديد حول مشكلة ما وأنها ظاهرة معروفة عند مفكرين أخرين، وأن طول فترة النوبة يعمل فيما يبدو ضد كونها نوبات من الجذب الحقيقي بالمعنى الديني الصوفي ،[321] فإننا نرد عليه بأن هذا فرض مستبعد لأن حالات الغيبوبة التي تنتج عن متابعة التفكير في مشكلة علمية ما لا تمتد كل هذه الفترة أبداً ، إذ حتى اعقد المشكلات الفلسفية من الصعب أن تشغل الذهن إلي هذا الحد الذي يجعل الإنسان واقفاً على قدميه لا يلقي بالا للمحيطين به على مدى يوم كامل ، كما أنه من الصعب أن تُفسر القصة دون الاعتماد على عنصر الغفوة.[322]

نخلص بالتالي إلي أن سقراط كان يمر بحالات من الجذب الصوفي التي كان يغيب فيها عن وعيه، ومن المحتمل أن الإله كان يرسل إليه بوحيه فيها. لكن لنا هنا ملاحظة وهي أن سقراط الذي يظهر لدى أفلاطون في المحاورات يتجنب وبصورة أقل من سقراط لدى كسينوفون قدر الامكان أي إيحاءات قد توحي بأن الآلهة تتحدث إليه مباشرة، فكل ما يحدث له أنها ترسل إليه اشارات فقط ، ويكون تأويلها متروكاً له هو وحده.[323] وهنا جاء وقت السؤال التالي: كيف نوفق بين استسلام سقراط التام للمصادر الغيبية ولما تبلغه إياه من أوامر وبين إيمان سقراط الجازم بأنه لم يركن

---

318 - أفلاطون : المأدبة ،ترجمة وليم الميري، دار المعارف، القاهرة،١٧٤، ص ٢٨ .

319 - أفلاطون: فيدون ،٦٠هـ ــ ٦١ب،ص١٤٥-ص١٤٦.

320 - M. L. Mcphrran: Socratic Reason and ..., p. 361.

321 - ف. كوبلستون : تاريخ الفلسفة، ج١، ترجمة د/ إمام عبد الفتاح،المشروع القومي للترجمة ، العدد ٤٣٦، القاهرة، ٢٠٠٢، ، ج١ ، ص ١٥٤ .

322 - W. K. C. Guthrie: Socrates, p. 84.

323 - G. Vlastos: Socrates, p. 168, N 48.

في أي جانب من حياته إلا لما يمليه عليه عقله ؟؟ والسؤال بصيغة أخرى : إذا افترضنا أن سقراط ليس هو الفيلسوف العقلاني فقط بل ورجل يسلم ـ بعض الشيء ـ بالغزوات التقليدية للآلهة كيف يمكننا أن نوفق بين هذين التعهدين الإبستمولوجيين المتناقضين؟؟

لم يحدث قط أن شرح لنا سقراط كيف أمكنه الاستوثاق من أنه لا يكون ضحية للهلوسات الدينية ، بل أننا قد لا نرى ـ من الوهلة الأولى ـ أي تبرير عقلاني ذى شأن لعقيدته المقامة على المزاعم الغيبية ، إضافة إلي أن تسليمه بالفروض اللاهوتية والاشارات الغيبية يبدو معترضا طريق استجوابه الفلسفي ورفضه للدين القائم على المزاعم لدى الأخرين. وقد أغرى هذا التعارض البعض فأكد على وجود انفصال تام بين المصدرين، بل وعلى تنافرهما الشديد ، وعلى أن سقراط وثق في أحدهما ورفض الأخر. فيذهب مثلا بريكهاوس وسميث إلي أن سقراط استسلم تماما للمصدر السماوي وليس العقلي للمعرفة، وأن يقينية تقدير سقراط للأهمية الأخلاقية لرسالته يقينية مستقلة تماما عن أي اعتقادات من الممكن أن يكون معتنقا لها حول طبيعة الفضيلة ، لأنها يقينية مستمدة من العرافة. في حين انحاز Nehamas للعكس فأنكر أن يكون سقراط قد فعل أي شيء في حياته لأن الإله أو النبوة أمره بذلك يقول : لا يوجد أي أثر في رأي للطوعية في طاعة سقراط للإله ، فالأمر على العكس لم يفعل سقراط إلا فحسب ما يعتقد أنه الشيء الأفضل بناءً على اسس عقلية محايدة ومستقلة ، ودأبه كان دائما هكذا."[٣٢٤] أما نحن فلا نميل إلي هذين الطرفين إلي التأكيد على تكامل المصدرين في حياة سقراط ، ولدينا مبررات وشهادات تاريخية عديدة على هذا التكامل ، إننا لا نستطيع أن ننكر أن سقراط ثمرة لعصره في الجانب القائل أنه مصلح عقلاني للتراث الديني الذي ورثه، وفي الوقت نفسه كان مبقيا بعض الشيء على رواسب من هذا التراث ، ومن ثم لم ير أية تعارض بين هذين التعهدين : التعهد بالبرهان العقلي من ناحية ، والتعهد بطاعة الأوامر الإلهية المنقولة إليه عبر القنوات العلوية من ناحية أخرى، بل أمن بتناغمهما ، وكان ينبغي أن يكونا كذلك طالما أن ما يُومر به سقراط من جانب الإله يتمثل في أن ينخرط ـ كما رأينا ـ في النشاط الذي يسير على هدي العقل وممارسة التفلسف.[٣٢٥] ونتخذ بداية أنطلاقنا من كسينوفون فقد رأيناه يذكر أن سقراط أمن بأن هذين النبعين من مناهج البحث مستقلين لأن كل واحد منهما مناسب لموضوع مختلف عن موضوع الأخر ، فهناك أمور سمحت لنا الآلهة أن نعلمها ، وفي هذه ينبغي للبشر أن يعتمدوا على عقولهم وحدها ، في حين أن هناك أموراً أخرى تفوق العلم البشري يجب على البشر لكي يعرفوها أن يعتمدوا على العرافة الآتية من الآلهة ولا تعارض بين التوجهين.[٣٢٦] معنى هذا أن كسينوفون اقترح علينا طريقة نوفق من خلالها بين

324 - C. D. C. Reeve: Op Cit, pp. 62-63.

325 - G. Vlastos: Op Cit, p. 157.

326 - Xenophon: Op Cit, B 1,ch. 1, 6-9, pp.2-3.

التعهدين، حيث اعتمد سقراط على الإختبار الجدلي في اختبار المعتقدات التي يكون هذا الإختبار ممكنا ومناسبا لها ، ولكنه سوف يعترف أيضا بأن بعض المعتقدات الأخرى مستقى بطريقة مشروعة من المصادر العلوية . ومع ذلك فإنه حتى هذه المعتقدات سوف تغدو موضوعات للتفسير والإختبار الجدلي ــ كما يقول مارك ميكفران ــ نظراً لإلتزام سقراط بالاختبار الجدلي وفي نظرته إلي الآلهة نفسها على أنها كائنات عقلانية بشكل يفوق الجميع.[٣٢٧]

فإذا كان هذان المصدران غير متعارضين في رواية كسينوفون لكونهما يعالجان موضوعات مختلفة ولا توجد دائرة متقاطعة بينهما ، فإن جوريجوري فلاستوس ومارك ميكفران وريفي لا يكتفون بذلك ، بل أكدوا على وجود مساحة مشتركة من التقاطع بين الدائرتين ، وأنهما متكاملتان في هذه المساحة. فيبرز فلاستوس تكاملهما في أن مصدر الاخبار السماوي الغيبي كان يرسل إلي سقراط بانذرات غامضة ، وبالتالي فهي عرضة لتأويلات عديدة ، وكان الاختيار بين هذه التفسيرات أمرا متروكا لحس سقراط الشخصي أي لعقله، وأن ما يزعم سقراط أنه يتلقاه من ملاكه هو جرس إنذار ينبه عقله إلي وظيفته ، أو قل إشارة إلهية والتي تترك ــ بل تطلب في الواقع ــ حيزا لا بأس به لانتشار عقله النقدي لكي يستخرج الحقيقة التي من الممكن أن تكون لهذه الأقوال.[٣٢٨] وينتهي فلاستوس إلي التأكيد على تكامل هذين المصدرين فلا يمكن أن يكون هناك تعارض بين استعداد سقراط غير المشروط للسير خلف عقله النقدي ، وإلتزامه غير المشروط والمساوي لطاعة الأوامر المرسلة من الآلهة، فمن خلال استعمال عقله النقدي فقط استطاع أن يحدد المعنى الحقيقي لأي واحدة من الرسائل الإلهية " لقد نزع سقراط ــ بلا اي اعتماد على الطبيعيات الأيونية ــ سلاح القوة غير العقلانية للإعتقاد في اتصال الآلهة بالبشر عن طريق الإشارات فوق الطبيعية، واحتفظ في ذات الوقت بالرأي المقدس القائل بأن الخبرة البشرية مسببة تسبيبا إلهيا."[٣٢٩]

أما مارك ميكفران فيوفق بينهما من خلال إيمانه بأن العقل لدى سقراط يلعب دوراً محورياً في كلا من تأويل الإشارات السماوية ، وعملية الإستوثاق منها ، إذ ينبغي لمثل هذه الإشارات أن تُفحص ــ عندما يكون هذا ممكنا ــ فحصا عقليا ، وبالتالي ينبغي أن تجتاز الإختبار العقلي الذي كان سقراط يجريه على كل شيء.[٣٣٠] إن سقراط لم يرد أن يتخذ الإشارات السماوية جانباً بديلاً للحساب العقلي ، وإنما يراها تسهم كتكملة هامة له ، وكمثير دافع نحو الفكر العقلاني ، ويدلل على ذلك بما قام به سقراط من إستوثاق جدلي لفهمه لمنطوق نبوءة دلفي باعتباره يحمل أمراً إلهياً

327 - M. L. Mcphrran: " Socratic Reason and ..., p. 348.

328 - G. Vlastos: Socrates, p. 167.

329 - Ibid, pp. 170-171.

330 - M. L. Mcphrran: " Socratic Reason and ...", p. 351.

له بالتفلسف ، وعندما فسره بهذا الشكل غدى إلزاماً صارماً بالتقوى يقع على كاهله اعـتماداً علـى أن الأوامـر الإلهية الخيرة يجب أن تُطاع، ومن ثم كان لدى سقراط تبريرا علمانيا لهذا المعنى ، وهو مفهومه للفضائل.[٣٣١] بل أن سقراط ينظر إلي نفسه علـى أنـه ملزم بتفسير الإشارات السماوية كلها بنفس الطريقة التي فعلها مع نص النـبوءة. ويسوق ميكفران أمثلة كثيرة من المحاورات على وقائع حدثت لسقراط شعر فيها أنه ملزم بأن يخضع لتدخلات الإشارة العلوية وفي ذات الوقت يخضع هذا التدخل لعملـية التكيـيف العقلي . من ذلك ما ورد في "الدفاع" من خضوع سقراط لمعارضة الإشـارة لانخـراطه فـي الأنشطة السياسية حيث يدخل سقراط تبريره العقلي لهذة المعارضة بعد ذكر الواقعة مباشرة، وجاء تفسيره لها أن عيشه لحياة السياسة سوف يجلب عليه موتاً سابقاً على أوانه مما سوف يضع نهاية سريعة لرسالته ذات الأهمية العظـيمة للأثينيين.[٣٣٢] وواقعة وردت في "فايدروس" فقد حذرته الإشارة من المغادرة وعـبور النهـر قـبل أن يكفر عن ذنب ارتكبه،[٣٣٣] وزعم سقراط عقب ذلك أن لديه مهارة معقولة كافية لتلبية متطلباته في القيام بالتفسير التنبؤي وتسمح له بالربط بين الشكوك التي ينتهي إليها بشكل عقلاني وبين التدخل الآتي من السماء.[٣٣٤] وفي كتابه "الـتقوى السقراطية" أيد مارك ميكفران نفس الراي السابق ، وإن كان قد خفف منه بعـض الـشيء فقـرر أن سقراط لا يخضع الإشارات الآتية إليه من السماء في كل الحـالات للإستوثاق العقلي ، مثل واقعة مصير النفس بعد الموت ، وانتهي ميكفران إلي أن الإشارات العلوية تخدم في مجملها سقراط بوصفها مصدراً للاقتناع الشخصي فـي اتـباع أسـلوب سـليم مـن اساليب الفعل من الممكن أن يكمل بواسطة التأمل الفلسفي.[٣٣٥]

صـحيح أن هناك بعض الحالات التي لا يكون ممكنا فيها تبرير المعارضة الآتية مـن الـسماء مـن خلال تقديم سبب تفسيري يثبت حصافة النصيحة الآتية منها إلا فحـسب عقـب واقعـة طاعة سقراط لها أولا. بمعنى أن سقراط في طاعته هذه مُنح فرصـة لأن يقـوم بتعليم محاوريه الذين تواصل معهم بعد ذلك وفي نفس الوقت أن يـستمتع بقـيامه بذلك ، فإن هذا لا يمنعنا من القول بأن الشيء السماوي كان لدى سـقراط مـساعدة قـيمة ساعدته في التوصل لأحكام سديدة حول الأفعال، وأنه على توافـق ــ وإن لم يكن هذا دائما في لحظة اتخاذ القرار ــ مع مقررات الأخلاق للعقل العلمانـي . لقـد كانـت المصادر العلوية في نظره تشكل جزءاً مكملاً لتصورنا نحن البشر القاصر والذي نشيده بطريقة عقلانية للأشياء ، فضلا عن أن استعمالنا الفعال لمثل هذه الإشارات ، وكذلك ثقتنا التامة فيها تتطلبان تطبيقا لتقييم عقلاني يقوم بكلا

331 - Ibid, pp. 352-353.

332 - أفلاطون ، الدفاع ، ٣١هـ ، ص ١٤٨ .

333 أفلاطون : فايدروس،٢٤٢ج -٢٤٣أ ، ص ٦٣- ص ٦٤.

334 - M. L. Mcphrran: " Socratic Reason and .....", p. 356, N29.

335 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety, pp. 303-304.

من تفسير واختبار صدقها.[٣٣٦] وهذا ما كان الأمر عليه لدى سقراط. ومما يؤكد ذلك أن سقراط لا يعتمد اعتماداً وحيداً على إرشاد المصادر العلوية في المواقف التي تحمل خطورة أخلاقية مؤكدة ، بل نجده فيها يظهر بمظهر من يتبع التحذير الآتي من الإشارة السماوية يبذل محاولة لتقدير مبررات مؤكدة وقابلة للإختبار بطريقة جدلية على ما في معارضة هذه الإشارة من حكمة ، مثلما حدث في مسألة تحذيره من الانخراط في السياسة.[٣٣٧] ومن الأدلة التي يسوقها مكيفران على التكامل بين المعرفتين تلك الآتية من المصادر السماوية والأخرى الآتية من العقل ، أن المعرفة الأولي لم تكن تشكل بمفردها المعرفة الأخلاقية الخبيرة التي كان ينشدها سقراط : ١ - إذ لا تحتوي الأحداث المقترنة بها في ذواتها على أي ايضاحات لأحكامها ، وبالتالي فهي لا تقدم اية قواعد للحكم على الأفعال الأخرى ٢ - أنها معتمدة على الحظ ٣ - ليست أمورا تعليمية طالما أنها معتمدة على إرادة موجود إلهي، إنها خبرات ذهنية داخلية لا يمكن أن تُغرس في الآخرين. فهي بحاجة للتكامل من البرهان العقلي لانتاج المعرفة الأخلاقية الخبيرة وهذا ما فعله سقراط.[٣٣٨]

وثق سقراط إذن في صدق الإشارات الآتية إليه من السماء وكانت ثقته هذه مبنية على اساس إستقرائي وأخر عقلاني : فمن الناحية الاستقرائية ١ - لم يثبت له قط على مدى خبرته الطويلة بالشارة السماوية أن جاءت تحذيراتها خاطئة ،٢ -أكبر دليل على معصومية تحذيراتها تلك النتائج الطيبة التي أعقبت عملية طاعتها دائما ، والمآسي التي لحقت بالذين تجاهلوها . أما من الناحية الاستدلالية العقلية : أنه لما كانت الإشارة آتية كهبة إلهية ، ولا تمنحنا الآلهة أي شيء إلا ويكون خيرا ، فلن تخدعنا الآلهة بدأ وهي حكيمة حكمة لا حدود لها ، في حين أن إستدلالنا العقلي غير المدعوم بمدد من السماء عرضة للخطأ خاصة عندما ينصب على الأحداث المستقبلية.[٣٣٩] يتضح مما سبق أن إعلاء سقراط للشيء السماوي ونسبه له دلالة إبستمولوجية لا يعني أنه اعتنق نسقين معرفيين مختلفين ، وإنما كان لدى سقراط مصدرين متمايزين للإخبار ، كان يطلع عليهما ــ الإلهام السماوي والعقل العماني ــ ولكنه لم يستخدم سوي المنهج القائم على الجدل ، ومن ثم كان الإلهام لديه مصدر مشيد لمعرفة أخلاقية جزئية مقامة في ذاتها بشكل عقلاني ، إن لم تكن في اساسها عقلانية تماما.[٣٤٠] لقد أخذ سقراط الإخبار الآتي إليه من السماء مأخذاً شديد الجدية ، واعتبر أنشطته التعليمية الجدلية نوعاً من الرسالة المكلف بها من السماء ، لذلك فإن أي تصور لعقلانية سقراط يرفع دعوى الكمال ينبغي أن يسلم ــ كما ينادي

336 - M. L. Mcphrran: " Socratic Reason and ....", p. 357.

337 - Ibid, p. 357.

338 - Ibid, p. 365.

339 - M. L. Mcphrran: Socratic Reason , p.356.

340 - Ibid, p. 358.

جثـري ــ باعتقاد في وجود علاقة شديدة الخصوصية ومباشرة بين سقراط والقوى الإلهية.[٣٤١] ولا يخرج "ريفي" عن هذا المدار كثيرا حيث أكد على تكامل المصدرين ، وإن كـان يختلف عـن فلاستوس وميكفران في القول بأن سقراط لا يطبق اختباره الجدلي على كل الحالات الآتية من الإخبار السماوي بل في بعضها فقط. واستنتج من واقعـة صـمت الإشارة اثناء المحاكمة التي تعرض لها سقراط واستدلال سقراط من ذلـك رضـا الإله عما يتعرض له ، وأنه خير له لا محالة ، استنتج أن سقراط عندما يكـون عاجزاً عن الوصول إلي اليقين حول أمر ما وصولا عقليا كان يعتمد في يقينه على المصدر الإلهي، مما يعني أن سقراط لم يطيع أحيانا فحسب التحذيرات الآتية من الجنـي دون أي تبرير مستقل ، بل كان يستعمله لاقامة الحقائق التي لم يكن بوسعه أن يقـيمها بـأي طـريق أخر.[٣٤٢] وانتهي إلي أن سقراط أراد طاعة الأوامر الإلهية ببـساطة اعـتماداً على الاساس القائل بخيرية الإله، وهو اساس مقام بشكل جدلي، ومـن ثـم فليس بحاجة إلي أن يبرر كل أمر جزئي يأتيه، صحيح أن رسالة سقراط انطلقـت مـن نـبوءة دلفي ولكن مبرراته لطاعتها كانت مبررات أخلاقية مقامة على الجـدل. سـقراط رجل متدين ولكنه ليس إبراهيم كيركيجورد، إنه رجل فلسفة وليس رجـل إيمـان ، رجل لا يقنع بأي شيء في داخله إلا بالبرهان الناصع على أنه عند التعقل فيه يبدو له أنه الأفضل.[٣٤٣]

نـستطيع أن نـؤكد إذن فـي خاتمـة حديثنا عن إيمان سقراط في حياته العملية بمـصادر سـماوية للمعـرفة جنبا إلي جنب المعرفة العقلية ، وأن هذا الإيمان جانب تطبيقـي لمفهـوم الـتقوى النظري الذي كان يأخذ به، على أن هذه المصادر كانت مـصدرا فريدا من مصادر الإخبار، إخبار يثمر حالات من المعرفة باستصواب اساليب جـزئية للفعـل، وتبـرر علـى وجه الخصوص ثقته الكاملة في سمو ورفعة رسالته الفلـسفية ، كمـا أنها تساعده دائما على السير بمقتضاها ، وأيا ما يكون الأمر فإن سـقراط لا يعتبـر لا العـرافة ولا الاختبار الجدلي بوجه عام أحدهما على حدة شيئا جوهـريا ، وإنمـا كـل واحد منهما يبرر الآخر تبريرا متبادلاً ؛ بمعني أنه لو كانت شـهادة العرافة عرضة للشك يكون على أتم الاستعداد لاخضاعها للإختبار الجدلي ، وعـندما تكـون الجدارة الأخلاقية للإختبار الجدلي عرضة للشك فإنه يعتمد في هذه الحـالات على العرافة.[٣٤٤] إذن يأخذ سقراط الجدل العقلي والعرافة على أنهما يزودانه بالهدايـة الأخلاقـية. إنـنا جمـيعا ــ وهذا ما يؤمن به سقراط ــ منعم علينا بنعمة مـزدوجة ، منعم علينا بالملكات العقلية ، وبهبات الإخبار العلوي الضروري من أجل عـيش حياة تتمتع بقدر من السعادة، لذلك فإننا كلما تمعنا في الرسالة السماوية وفي حـياة سـقراط نجد أنفسنا متفقين مع كسينوفون في قوله " يبدو لي أن الآلهة تحبك

341 - W. K. C. Guthrie: Socrates, p. 84.

342 - C. D. C. Reeve: Op Cit, p. 70.

343 - Ibid, pp.70-73.

344 - M. L. Mcphrran: " Socratic Reason and ....," pp. 371-372.

أنـــت يا سقراط أكثر من بقية البشر الأخرين ، طالما أنها أوحت إليك أنت بما يتعين عليـــك فعله وما لايتعين عليك أن تفعله دون أن تكون قد سألتها ذلك."[٣٤٥] ولكن حذار أن نفهـــم من ذلك أن سقراط كان عرافاً أو نبياً بالمعنى الكامل للكلمة بل كان إنساناً كلـــه وضوح . كان في شخصه بعض من مقاربة العراف والنبي والعبقري العقلي في ذات الوقت.

٣- الإلتزام بالطقوس والقرابين

رأينا أن سقراط لم يكن ثائراً دينياً أو حتى مفكراً تنويرياً بالحد الذي يسمح له أن يخـــرج على الممارسات الدينية السائدة في عصره خروجا صريحاً وجريئاً ، وأن يدعـــو الأخـــرين إلي الثورة عليها لكونها مجرد تقاليد بالية لم يعد احد يصدقها . بل على العكس حرص سقراط في كل مراحل حياته حتى وفي مشهد اعدامه على الإلتزام بـــتقديم فروض الطاعة الواجبة للإله وفقا للطقوس الدينية التقليدية السائدة، وأعتبر ذلك مظهرا عمليا سلوكياً للتقوى التي يؤمن بها الإنسان . لذلك لم يبذل أي جهد في "الـــدفاع" لاثبات هذه الحقيقة واثبات تمسكه بالطقوس الدينية السائدة إيماناً منه بأن هذا الجانب في سلوكه جانب واضح ومملوس من الجميع ولا يحتاج إلي برهان.

لا يـــرد فـــي الـــروايات التاريخية لدى أفلاطون وكسينوفون أي دليل على أن ســـقراط قد اهمل احترام الطقوس الدينية الراسخة في أثينا . ففي "أوطيفرون" يعتبر الـــتقوى نـــوعا مـــن علم الصلاة والتضحية للإله ، وأن في التضحية خدمة ونفع لنا ولـــيس للآلهة ، لأن الإله كامل لا يحتاج إلي شيء ، أما نحن فنحتاج إلي رضى الإله وأنعامـــه علينا.[٣٤٦] وفي "أتيديموس" ذكر أفلاطون تمسك أستاذه بالطقوس الدينية من الصلاة والقرابين المتوارثة عن الأجداد ، وأن هذه الطقوس تعلمها سقراط في البيت وفـــي الاحتفالات الدينية فكانت عنصرا راسخا في شخصيته حيث ذكر سقراط فيها أن "لدبـــه مذابح ومزارات أسرية وتراثية من النوع الذي يؤديه الأثينون الأخرون يتعبد فـــيها أبوللـــو وزيوس وأثينا."[٣٤٧] وأكد في "الدفاع" على قيام سقراط بالتضحية بشكل منتظم في المذابح العامة و"أن كل الذين عرفوه كانوا قريبين مني في السن يروني ـ وهذا ما بامكان ميليتوس نفسه أن يفعله لو أراد ـ أنني أضحي في الاحتفالات العامة وفـــي المذابح العامة."[٣٤٨] وعاد أفلاطون في "الجمهورية" إلي تأكيد نفس الجانب في ســـلوك سقراط رغم أنها من المحاورات المتأخرة نسبياً ، فأورد في مستهلها مشهداً درامـــياً نـــرى فيه سقراط وهو يسافر حتى بيرايوس Piraeus من أجل الصلاة إلي

٣٤٥- Xenophon : Op Cit, B1V, ch.3, 12, p. 129.

٣٤٦- أفلاطون : أوطيفرون ، ص ٣٥.

٣٤٧- Plato : Euthydemus, 302c4-303, p.166.

٣٤٨- Xenophon: Mem.B1, ch.1, 2, p.1 .

"بـــنديس" Bendis وحـــضور احتفالها.[٣٤٩] مما يمثل شهادة تاريخية على أن سقراط حـــضر الاحتفالات الدينية وكان لديه هذا الجانب الديني المحافظ. وجاءت الملاحظات العملية الواردة في"فايدروس"[٣٥٠] لكي تقودنا إلي النتيجة القائلة أن سقراط اتبع بوجه عـــام العرف الشائع في الأمور الدينية. وتدهشنا الجملة الأخيرة الواردة في "فيدون" والتـــي خـــرجت من فم سقراط ـــ في اشد اللحظات صدقا مع النفس ـــ قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، إنها جملة تكشف عن شدة تمسكه بهذا المظهر العملي للتقوى ، فقد وصـــى فـــي أخر كلماته في هذه الحياة تلميذه بالوفاء بنذر كان عليه لإله الطب.[٣٥١] وفـــي محـــاورة ميـــنون حـــرص سقراط بعد أن انتهي من حالة الذهول الديني التي استغرقت يوما كاملاً على تأدية صلاة شكر للإله عند بزوغ الشمس قبل أن ينصرف.

أمـــا كـــسينوفون فـــيؤكد في أول فصل من الكتاب الأول من "المذكرات" على أن سقراط برئ من تهمة الإلحاد، واستند في اثبات ذلك على واقعة أن سقراط اعتاد أن يقـــدم القـــرابين للآلهة ، ويمارس العرافة " فدائما ما شُوهد وهو يضحي في البيت ، ودائمـــا ما شوهد وهو يضحي في المذابح العامة للمدينة."[٣٥٢] ويمكننا أن نستنتج من روايـــة كـــسينوفون السابقة عدة حقائق: أن سقراط كان معتاداً على تقديم الصلوات والقرابين للآلهة كمظهر سلوكي للتقوى ، وأنه قد صلى لآلهة المدينة باسمائها على الأقـــل، وأنه قد كان لدى سقراط في بيته مذبح شخصي يقدم القرابين فيه إلي جانب تقديمـــه لها في المذابح العامة. ومن ثم فإن سقراط كان يقوم بكل ما هو مطلوب منه فـــي جمـــيع العبادات للآلهة المحلية في أثينا رغم تشككه الذي رأيناه في وجود هذه الآلهـــة، بـــل ونفهـــم أيـــضا أنـــه كان يعتقد في ضرورة أن يقدم الإنسان الصلوات والقـــرابين للآلهـــة، وأن التقـــصير في أداء ذلك مظهر من مظاهر الفجور. وهذا ما تـــؤيده روايـــة أخرى أن كسينوفون سمع سقراط ذات مرة وهو ينصح أرستديموس Aristodemus فـــي حـــوار معـــه حول الآلهة بأن يلتزم بتقديم القرابين، وذكر أن الـــسبب الـــذي دفعه إلي اجراء الحوار معه أصلا هو سمعه بأن أرستديموس لا يقدم القـــرابين للآلهة عند اقدامه على أي عمل كما أنه لا يستشير العرافين.[٣٥٣] فدفعه هذا إلـــي اثـــبات وجود عناية إلهية في الكون لاقناع أرستديموس بالالتزام بجادة التقوى والانتظام في العبادات. وقد استنتج ميكفران من هذه الروايات أن سقراط كان يضحي على نحو منتظم في فترات حياته ، ولكن هذه القرابين لم تكن باهظة الثمن، وهذا ما يـــتم استخلاصه من اسلوب الحياة المعتدل الذي كان يعيشه سقراط، وكذلك من أقوال كسينوفون الصريحة بأن قرابين سقراط كانت متواضعة.[٣٥٤]

---

349 - أفلاطون : الجمهورية، ٣٢٧ ، ص ٣.

350 - أفلاطون : فايدروس ، ٢٢٩-٢٣٠ ، ص ٤٢ - ص ٤٣.

351 - أفلاطون : فيدون ، ١١٨ ، ص ٢٨٠.

352 - Xenophon: Mem. B1, ch.1, 2, p.1.

353 - Ibid, B1, ch.4, 2, p.24.

354 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety, p.305.

إذن اشـــترك سقراط في تكريم الآلهة بالصلاة والدعاء والقرابين الواجبة ، بل وذكـــر كسينوفون أنه كان يحث سامعيه في اي مدينة يتواجد فيها على تكريم الآلهة حـــسب عـــادات تلك المدينة معتمدا في ذلك على إجابة عرافة دلفي التي أجابت من ســـألها عن الكيفية التي ينبغي عليهم أن يسلكوها فيما يتعلق بالأضحية والصلوات ، بـــأن عليهم أن يسلكوا في هذا بما يتوافق مع قانون بلدهم وهم بذلك يسلكون سلوكاً ورعاً . وذكر كسينوفون أن سقراط نفسه فيما يتعلق بالقرابين سلك بهذه الطريقة أما هذا الذي سلك بشكل مخالف لذلك فقد اعتبره لا يسلك بما يتوافق مع العقل بل يرتكب الحماقـــة.[٣٥٥] وفي موضع تالي من المذكرات أشار كسينوفون إلي نفس الرواية وإن كان يضيف هنا شيئا جديدا هو أن سقراط أكد على أن القانون القائم في كل مكان هو القانـــون الناص على أن كل إنسان ينبغي أن يسترضي الآلهة القرابين التي تتفق مع مقدرتـــه المادية، وأنه يتعين علينا ألا نقدم قرابين بدرجة أقل مما في أستطاعتنا أن نفعـــل ، لأن المـــرء الذي يتصرف بهذا الشكل يظهر بشكل واضح أنه غير محترم أو مقدس للآلهة.[٣٥٦]

وهـــناك قاعـــدتان ينبغـــي الالتـــزام بهما لدى سقراط في عملية تقديمنا للصلاة والقـــرابين للآلهة وهما: أن نقدم القرابين بما يتوافق مع ما هو سائد في البلد الذي نعـــيش فيه وينص عليه قانونها ، الثانية أن نراعي قدراتنا في ذلك فلا نكلف أنفسنا فـــي ذلك مالا طاقة لنا به. أما الصلاة فقد ذكر كسينوفان أن سقراط أوصى بضرورة أن يحـــرص المـــرء على تقديم الصلاة للآلهة ، ولكنه ينبغي أن يصلي ويدعو الآلهة بـــأن تمـــنحه الخير وليس الأشياء المادية الفانية كالذهب مثلا ، إذ لما كانت الآلهة تعـــرف أفضل من الجميع ما هي الأشياء التي تكون خيرة ، فمن الحماقة أن ندعوها بـــأن تمنحنا الذهب أو الفضة أو السلطة بل ندعوها بالخير والخير وحده.[٣٥٧] وحرصا مـــن ســـقراط على القرب أكثر وأكثر من الإله حرص في حياته في كل مراحلها على عيش حياة بسيطة وكان يتباهي بذلك ، حيث اعتاد ـــ كما يروي ديوجين لآيرتوس ـــ أن يقـــول أنـــه يستمتع أعظم ما يكون بالطعام البسيط، وبالشراب الذي يجعله يشعر بأقـــل احتياج إلي اي شراب أخر، وأنه بهذا الشكل هو الأقرب إلي التشبه بالآلهة في أنـــه الأقل احتياجا إلي الأشياء.[٣٥٨] وقد رأى كارل ياسبرز في إلتزام سقراط بالقرابين التقلـــيدية مـــصدرا من مصادر البساطة الرائعة الواعية التي عاشها سقراط في كنف حقيقة واضحة بذاتها راسخة في التاريخ ونابعة بشكل خفي من أعماق الوجود، وأنه لم يفضل ما فعله السفسطائيون من خروج على الديانة التقليدية، بل عاش في كنفها يطـــيعها ويحتـــرمها بتوقير وتقوى ، لأنه وجد فيها الأساس الأوحد والذي من دونه

355 - Xenophon: Op Cit, B1, ch.3, 1, p. 20.

356 - Ibid, B1V, ch.3, 16, p.130.

357 - Ibid, B1, ch.3, 2, p. 20.

358 - Diogenes Laertius: Op Cit, Vol. 1, B11, 27, p. 157.

يـــنهار كـــل شيء، فعندما لا ينتهي تبصرك إلي قرار مريح وجازم من الأفضل لك أن تتبع دين الأباء وتطيع قوانين المدينة.[٣٥٩]

لقـــد كانـــت صفة أساسية في الرجل التقي لدى سقراط الالتزام بتقديم القرابين والـــصلوات للآلهـــة المنـــصوص عليها من الناحية الشرعية في المدينة. لذلك أورد كسينوفون تعريفا للتقي عند سقراط أكد فيه على أنه ذلك الذي يقدس الالهة ويعبدها وفقـــاً للقوانـــين الـــواجب اتباعها في هذا الصدد.[٣٦٠] وقد تأثر أفلاطون نفسه برأي ســـقراط الـــسابق فأكـــد في "الجمهورية" على أنه عاجز عن تحديد نوعية الطقوس الـــواجب اتباعها تجاه الالهة بالبرهان الفلسفي، وأنه ينبغي على المرء في مثل هذه الأمـــور أن يعتمد على العرف المتوارث من الأجداد.[٣٦١] ولا يهم مقدار الأضحية ، بل المهـــم أن تكـــون متناســـبة مع قدراتنا ، لذلك فالقرابين المتواضعة من الأفراد ذوي الثروات البسيطة مقبولة لدى الالهة بصورة لا تقل شيئا عن مقبولية القرابين الثمينة من هؤلاء الذين لديهم ثروات هائلة. فمعيار رضى الالهة ليس بحجم القربان أو طول وقـــت الـــدعاء بل في التقوى الخالصة، فكلما كانت تقوى المقدم القربان أعظم كلما كانـــت متعة الإله ورضاه أعظم في العطية. أما لو كان رضى الآلهة يرتكز على حجم القـــربان لغـــدت القرابين المقدمة من الأشرار في أغلب الأحوال أعظم قبولا من تلك المقدمـــة مـــن الأخـــيار، وبالتالي لن يكون للحياة أي قيمة في نظر البشر. وانتهي كـــسينوفون بالتأكـــيد على أن سقراط اعتقد أن الآلهة تُسر أيما سرور بتلك القرابين التـــي تُقدم إليها من الأعظم تقوى بين البشر.[٣٦٢] إن الإنسان في الصورة السقراطية للتقوى لن يكون ــ كما يقول فلاستوس ــ متسولاً أنانياً ملتمساً منفعه متمركزة حول ذاته ، عابداً لآلهة جوعى متملقاً إياهم من خلال العطايا ، بل يتوجه الإنسان فيها إلي الآلهـــة بالدعاء وهي من طبيعتها الرحمة بشكل لا انقطاع له، إنها لا تريد من البشر أي شـــيء اللهم إلا ما كان سوف يريد البشر تحقيقه لأنفسهم لو كانت إرادتهم إرادة دائمة للخير.[٣٦٣]

شـــدد ســـقراط إذن علـــى ضرورة أن يفي الإنسان بمتطلبات التقوى في حياته العملـــية مـــن قـــرابين وصلوات، مؤكدا على أن هذا ما تقتضيه الحكمة، وأن المدن والمجتمعات البشرية الأحكم هي تلك التي تكون الأعظم من بين الجميع توقيراً للآلهة ، وأن الـــوقت الأحكـــم الذي يمر به الإنسان هوالذي يكون فيه الأعظم إلتزاماً بعبادة الآلهـــة.[٣٦٤] ولكـــن سقراط مع ذلك يرفض رفضا كاملاً العناصر المشعوذة والسحرية والتـــي دائما ما كانت تشكل تقريباً جزءاً من الشعيرة الطقوسية لدى الغالبية الغالبة

359 - K. Jaspers: Socrates ...., p. 9.

360 - Xenophon: Mem. B4, ch.6, 4, p. 142.

361 - أفلاطون : الجمهورية ، ٤٢٧ ، ص ١٣٠.

362 - Xenophon: Mem. B1, ch.3, 3, p. 20.

363 - G. Vlastos: Socrates, p. 176.

364 - Xenophon: Mem. B1, ch4, 16, p. 27.

مـــن العابـــدين الأثينيين ، لا وجود عنده لأي معرفة أو طقوس سرية في العبادة. بل لأن الآلهـــة حكيمة وفاضلة فهي المسئولة عما في نفوسنا من عدالة وتقوى وليست المسئولة عن ذلك القرابين التي نقدمها لها.[٣٦٥] والسبب الذي جعل سقراط يقول بذلك إيمانه بأنه لا يوجد لدى البشر أي شيء من الممكن أن يقدموه للآلهة يعادل أو حتى يقـــارب في القيمة الهبات التي تمنحها الآلهة لهم . إن أي يوناني مستقيم كان سوف يعـــتقد أنه أمر واجب عليه العمل على شكر هذه (الآلهة) التي فاضت بالهبات عليه ، ولا يهـــم إلي أي حد يكون هذا الشكر صغيرا. إن الفعل التقي بوصفه صورة للفضيلة ينبغـــي أن يكـــون محققـــاً للـــسعادة التي هي نعمة إلهية، ويتطلب هذا فعل ما يكون ورعاً.[٣٦٦] ولو كان الأمر على خلاف ذلك لغدت التقوى حرفة تجارية كما سبق وحذر ســـقراط. ولكن ورغم أن القرابين والصلوات التي نرفعها للآلهة ليست مسئولة عما بـــنا مـــن فـــضيلة، فلا شك عند سقراط أن الآلهة تُسر عندما ترى فضيلتنا، فجهود إنـــسان صـــالح لن تُهمل من الآلهة، فمن المستحيل لديه أن تتعارك الآلهة فيما بينها حـــول أقدار البشر بلا مبالاة منها لما لديهم من طاعة.[٣٦٧] إن السعادة التي يرقل فيها الإنسان التقي رغم أنها قد لا تكون النتيجة المباشرة لأنعام الإله عليه رداً على كونه قـــد سُر بفعله التقي ، إلا أنه يظل صحيحاً ــ بسبب طبيعة الفضيلة والنفس الإنسانية ــ أن النعم تأتي إلي الإنسان التقي كنتيجة لسعيه إلي سرور الإله.[٣٦٨]

نكـــن لمـــاذا رأي ســـقراط واجـــباً علينـــا الالتزام بطقوس التقوى من أضاحي وصـــلوات؟؟ هناك أربعة تبريرات فلسفية نستطيع استخلاصها من الروايات التاريخية الـــسابقة مـــن المحتمل أن تكون قد تكونت لدى سقراط لذلك : الأول أنه لما كان من الـــضروري له أن يشجع الجانب الأمري الأخلاقي للطاعة البنوية (بما في ذلك الهبات والمـــديح) في معارضته لاتهام أوطيفرون لأبيه امام المحكمة، وأعتقد أن هذه الطاعة نـــوع مـــن العدالـــة البـــشرية ، فإنه ملزم ــ بالمماثلة ــ أيضا بتأدية أفعال التوقير والـــشكر لساداتنا واسلافنا السماويين رغم أننا لا نعرف نوعية المنافع التي قد تعود علـــيهم من جراء ذلك ولا المتعة العائدة عليهم منها.[٣٦٩] الثاني: ورد لدى كسينوفون وهـــو أنـــه لما كنا نتلقى هبات كثيرة من الآلهة منذ الميلاد فإنه ينبغي علينا أن نرد إليهم في المقابل ما يكون في قدراتنا أن نقدمه مثل الأضاحي والصلاة والطاعة . إننا لكـــل هـــذه النعم التي نتلقاها من الآلهة ندخل بذلك في نوع من الاتفاق الضمني مع الآلهـــة علـــى طاعـــة أوامرها مثل ذلك الاتفاق الذي دخله سقراط في "إقريطون" مع

365 - C. D. C. Reeve: Op Cit, p. 67.

366 - M. L. Mcphrran: Religion of Socrates. p. 58.

367 - C. D. C. Reeve: Op Cit, p. 68.

368 - M. L. Mcphrran: Religion of Socrates, p. 58, N81.

369 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety, p. 306.

قوانـــين المدينة.[٣٧٠] والتبرير الثالث: ورد في "فيدون" يقول إننا لما كنا عبيدا للآلهة فـنحن إذن ملـك لهـــا، وبالتالي فإن لها حق في خدمتنا تماما مثل حق الملكية الذي يكـــون للمالكـــين لمـــا يملكونه.[٣٧١] وأخيرا التبرير الرابع وهوأن لدينا أسباب تدبرية نفعـــية للوفاء بواجباتنا تجاه الآلهة، طالما أن الآلهة فاضلة وفي نفس الوقت شاملة العلم فهي إذن لن تضيع تعبنا أو مجهولنا بلا تقدير نافع لنا في الحياة.[٣٧٢]

إنـــه لمـــا كانـــت الآلهة هي التي تمن علينا بالطيبات فإنها تستحق لذلك شكرنا وتقديرنا، ويتمثل شكرنا لها في الصلوات التي نؤديها والقرابين التي نقدمها. ومن ثم كانـــت أفعـــال التضحية التقليدية أفعالا تقية عند سقراط، لكنها لا تشكل كل الطقوس الدينية الرشيدة كما يفهمها هو لأنها تتضمن أيضا إلي جانب ذلك ممارسة التفلسف ، ومـــن ثـــم فلم توجد لدى سقراط تلك الهوة الواسعة التي كثيرا ما نشاهدها بين حياة الفلسفة وحياة التدين النقية،[٣٧٣] الهوة التي جعلت كثير من فلاسة المسيحية والإسلام يحاولون سدها بمحاولات مضنية للتوفيق بين الفلسفة والدين.

إن ســـقراط يصلي ويقدم القرابين للآلهة وفي ذات الوقت يمارس التفلسف العقلي كل ذلك من أجل اسعاد الإله من جانب وجلب الطيبات عليه هو نفسه من جانب أخر. لـــذلك فلا غرابة أن نجد سقراط يؤكد على أن المعرفة الكاملة والدقيقة بالتقوى تحتم معـــرفة كيف تكون الأفعال التي نقوم بها في التضحية والصلاة ممثلة لخدمة لهؤلاء الذين نعبدهم، وما الذي يكون جالباً للسرور عليهم وكيف يسهم هذا في خدمتهم.[٣٧٤] ولكن تظل هناك حقيقة لا يمكن انكارها أبدا ألا وهي أن القداسة عند سقراط لا ترتكز علـــى كثرة الأعمال، ولا على التعصب الطائفي، بل تمثل عنده نزوعا مصاحباً للأفعال العادلـــة وليست فضيلة مستقلة مشتملة على دائرة معينة من الواجبات ، إن قلباً نقياً عند سقراط لهو محبب لدى الإله أكثر من ذلك القلب الفائض بالقرابين.[٣٧٥] كان الدين لديـــه هـــو تكـــريم الـــضمير النقي للعدالة الإلهية ، وليس في تقديم القرابين وتلاوة الصلوات مع تلطيخ النفس بالإثم.

علـــى أيـــة حال يمكننا أن نقول في ختام حديثنا عن هذا الجانب التطبيقي للتقوى السقراطية ما قالته كوراميسن من أن سقراط لم يساوره القلق بشأن التماثيل القديمة أو الضحايا والشعائر الأخرى ، وإنما كان يستشعر اللذة في تمجيد الآلهة الطيبة بأية وســـيلة مـــن الوســـائل ، وكان يقوم بكل ما كان مألوفاً في مدينته من جميع وسائل الـــتقديس والعبادة المعروفة رغم أنه لم يهتم بأن يعرف اشكال الالهة أو عددها ، بل كـــان يصلي لأي إله يطيب له، وقليلاً ما كان يقسم بالالهة ، ولو حدث واقسم بها لم

370 - Xenophon: Mem. B4, ch.3, 15-17, pp. 130-131.

371 - أفلاطون : فيدون ، ٦٢-٦٣، ص ١٥٠- ص١٥١.

372 - M. L. Mcphrran: Socratic Piety, p. 306.

373 - Ibid, p. 300.

374 - M. L. Mcphrran: Religion of Socrates, p. 58.

375 - Th. Gomprez: Op Cit, Vol. 11, p.86.

يكتف بأن يحرص على تنفيذ ما وعد، بل وحاول كذلك أن ييسر لغيره أن يفي بما وعد.[٣٧٦]

٤- الإيمان بالحساب الأخروي

يختلف الباحثون اختلافاً كبيراً حول حقيقة موقف سقراط من خلود النفس ، فذهب فريق منهم يضم ثيودروس جومبرتس[٣٧٧] وجوريجوري فلاستوس إلي أن موقف سقراط من الخلود موقف المتشكك الذي لا يستطيع التأكد منه مثله في ذلك مثل كونفيشيوس حكيم الصين العظيم . كما ينضم إلي تأييد هذا الفريق ثيوكاريس كيسيديس معتمداً في تأييده هذا على جملة الوداع الأخيرة المبللة بنسمة الكآبة ، والمهمورة بعظمة احتفالية في "الدفاع" والتي يقول فيها سقراط "ولكن ها هي ذي الساعة قد حانت لرحيلنا ،أنا لأموت ،وأنتم لتستأنفوا الحياة من منا له النصيب الأفضل لا أحد يعرفه ما خلا الإله."[٣٧٨] وينتهي كيسيديس إلي القول بأنه لما كانت فكرة سقراط في أن الكون صنع من أجل الإنسان مجرد أمنية أكثر منها معرفة عقلية، فإنه كان يأمل أن تكون الروح خالدة، ويرغب في تصديق ذلك، ولكنه يترك السؤال مطروحاً بلا إجابة جازمة، وفي جميع الأحوال كان يعتبر من جهته أنه من المستحيل الحكم في هذا الموضوع بيقين تام.[٣٧٩] ولكن في مقابل هذا الفريق المتشكك يوجد فريق أخر نادى بأن لدى سقراط إيماناً بالخلود الشخصي ، وعلى رأس هذا الفريق جثري وجولي وريفي.[٣٨٠] ونحن نؤيد هذا الفريق الأخير لعدة أدلة تاريخية تجزم بإيمان سقراط بالخلود كما سوف نرى.

وأول هذه الأدلة أنه إذا كان الإله لدى سقراط يعتني بالإنسان عناية عظيمة مسخراً لخدمته كافة ما في الكون، وإذا كان الإله يعلم علماً كاملاً كل ما يدور في الكون وفي الحياة الإنسانية ، فإن النتيجة العملية التي تترتب على هاتين المقدمتين هي الإيمان بالحساب الأخروي لدي القائل بهما ، وبأن هناك مكافأة في حياة أخرى تنتظر الأخيار والفاضلين من الناس ، وعذاباً ينتظر المقصرين. لقد كانت مهمة الإنسان لدى سقراط في هذه الحياة اقصاء الرذائل وتعلم الفضائل كما أمره الإله، فإذا ما التزم بهذا الأمر فلا شك أن الإله لن يتركه بلا مكافأة في الآخرة فقد ذكر سقراط مرتين في "الدفاع" أن الألهة لا تكون محايدة تجاه مصير الإنسان الفاضل.[٣٨١] فهناك

---

376 - كورا ميسن : سقراط الرجل الذي جرؤ على السؤال، ص ٣٢- ص٣٣.

377 _ Th. Gomprez: Op Cit, Vol.11, pp.83-84.

378 - أفلاطون : الدفاع ، ٤٢أ، ص١٦٥.

379 - ثيوكاريس كيسيديس: المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

380 - C.D.C. Reeve: Op cit, p.70.

381 - أفلاطون : الدفاع ، ٢٨هـ ، ص ١٤٣، ٤١ د، ص ١٦٤.

بعـد الموت حياة أخروية سوف يتم فيها حساب أخروي عادل تتم محاسبة الظالمين علـى ظلمهم ، مما يعني ان سقراط كان مؤمناً بخلود النفس وبتمايزها عن الجسم . والدليل الثاني أنه إذا كان سقراط قد اعتقد بأن روح العادلين وجدت بين يدي الإله ، فإنه ما كان ليقبل أن تموت الروح والجسد في ذات الوقت، فمن غير الطبيعي بل من الـشاذ أن نتكلم عن سقراط على أنه كان يعتبر الإنسان الموضوع الأعلى في اهتمام الإله ، ومن جهة ثانية نقول أنه اعتقد أن موت الجسم يحدث بسبب موت النفس.[٣٨٢] فهـذا تـناقض لا يمكـن أن يقـع فيه سقراط. وقد أكد سقراط على ذلك صراحة في "فيدون" حيث أكد على أن الروح ستبقى بعد الجسم، وأنها ليست أرقى من هذا الأخير وحـسب، بـل أنهـا تختلف عنه ايضا اختلاف الخالد عن البائد . ومن هذه الرؤية يتوافق اعتقاد سقراط بخلود الروح مع التصور الذي كونه عن الروح الجوهر الإلهي المحـتجب المفـارق الـذي يحدد الأنا الحقيقية للإنسان وشخصيته ، وعندما يموت الجـسم تنفـصل الروح عن كل ما هو مادي متغير، وتذهب إلي عالم أخر مثالي هو عالم الأبدية.[٣٨٣]

فـإذا كـان هناك خلود للنفس بعد الموت في عالم علوي يُجازي فيه الصالحون على أعمالهم الفاضلة فإنه من الضروري أن يعتقد سقراط والحال كهذا أن الموت في ذاتـه لا يجب أن يمثل شيئا بغيضا للأخيار من الناس ، بل على العكس هو أمر طيب وسـعيد ، وهـذا ما استدل عليه سقراط نفسه من صمت "الإشارة السماوية" العجيب تجـاه أحداث محاكمته. لقد حصل سقراط من صمت الإشارة في "الدفاع" على شهادة جديـدة عن الموت، فالجني لم يعترض أو يقاطع مجرى الحدث والذي قد أدى به إلي محاكمـة الموت. واستنتج اعتماداً على ذلك ، وعلى التصرفات السابقة للجني " من المؤكد الآن أنه من الأفضل لي أن أموت وأن أغادر المتاعب وأجعلها وراء ظهري ، وبسبب هذا لم تعد الإشارة تأتيني."[٣٨٤] إن صمت الصوت الذي يأتيه يمثل علامة على مـدى الخير العائد من النتيجة النهائية المترتبة على موته . ويسوق مارك ميكفران صيغة استدلالية من كلام سقراط السابق تقول: ١- غالبا ومراراً ما عارضت الإشارة الـسماوية سقراط عندما كان في سبيله إلي فعل أي شيء خاطئ (في الحالات الجليلة والـصغيرة على السواء) ٢- ولكن في هذه الحالة بالذات لم تتصل الإشارة السماوية بـسقراط وهـو يقوم بالكثير من الأشياء المتصلة باجراءات محاكمته القضائية. ٣- إذن سـقراط فـي سـبيله لفعل شيء طيب.[٣٨٥] كما يسوق سقراط برهاناً جدلياً في "الـدفاع" أيضا برهن به على أن الموت شيء طيب وينبغي أن يُعد كذلك عنده. حيث أعلـن لقـضاته أنه مما سيكون من جهته تناقضاً غريباً أنه وبعد مجازفته في تلبية

382 - ثيوكاريس كيسيديس : المرجع السابق , ص ٢٦٨ .

383 - أفلاطون : فيدون ١١٥ ، ص ٢٧٦.

384 - أفلاطون : الدفاع ، ٤١ د، ص ١٦٤.

385 - M. L. Mcphrran: " Socratic Reason ....,' p.357, N.30.

نداء الوطن، الموت في ساحات الحرب أن يتوقف الآن عن التفلسف خوفاً من الموت مفضلا ذلك على الخضوع للإله الذي كان قد امره بالعيش متفلسفاً مختبراً نفسه والأخرين.[٣٨٦] فلا يجب عليه ــ من الناحية الجدلية على الأقل ــ أن يخاف الموت.

ننتهي بذلك من استعراض جوانب فضيلة التقوى لدي سقراط ونستطيع أن نتبين مما سبق أن سقراط نجح في أن يقدم فيها الصلة العجيبة والنادرة لقلب متأجج وعقل رزين ، لحاسية مرفهة وفكر نير ، للتعصب والتسامح ، ثقرن عنده ــ كما يقول ثيوكاريس كيسيديس ــ المهارة التحليلة بالميل النبوي ، الحس النقدي والبحث الحر مع هيام يقارب الوجد الصوفي."[٣٨٧]وجسد تلاميذه هذا تجسيدا بليغاً في أقوالهم المنحدرة إلينا ، فقال أفلاطون معبرا عن عظمة سقراط ــ في بساطة خلابة ــ أنه كان بحق أعقل وأعدل وأحسن من عرفت من الناس في حياتي كلها.[٣٨٨] وقال كسينوفون "إن هؤلاء الذين يعرفون أي نوع من الرجال كان سقراط لا يزالون إلي الآن ياسون عليه، ويمدحون حظه معتبرين إياه اسمى من البشر جميعا .. أما بالنسبة لي فقد بلغ من التقوى حدا جعله لا يفعل أي شيء دون مساعدة الآلهة عليه ، وبلغ من الاعتدال حداً جعله لا يسيء إلي اي إنسان حتى في أتفه الأمور .. وبلغ من الاعتدال حداً جعله لا يفضل أبدا اللذة على الفضيلة .... لقد بدي أنه يمثل الإنسان الأسمى والأعظم سعادة الذي من الممكن أن يوجد بين الناس."[٣٨٩]وكم كان اعجاب آباء الكنيسة بسقراط إذ عدوه ــ كما يقول ياسبرز ــ شخصية عظيمة ومبشرا بالشهداء المسيحيين ، فقد مات مثلهم من أجل إيمانه ، وأتهم مثلهم أيضا بالتجديف على الديانة التقليدية ، بل وكان يُذكر في نفس اللحظة التي يُذكر فيها المسيح عندهم. لقد وجد أوريجين أرضاً مشتركة بين سقراط ويسوع ، وقال ثيودورتTheodoret "إن بحث سقراط في الجهل يمهد الطريق للإيمان."[٣٩٠]وعكس فرنسيس وولف ذلك الإعجاب المسيحي بسقراط عندما قال "ربما كان القديس سقراط مدعيا أنه مزود برسالة إلهية ... إن له بالتأكيد كل ما في النموذج الديني حتى اتهامه الذي قاس منه ، وبخاصة في موته كشهيد وقد قبل به ووافق عليه بهدوء .. إنه في الواقع الحكيم بالامتياز الذي يكيف حياته مع مثل أعلى عقلاني، وتحقق فيه ــ كما المعجزة ــ الفضائل الكنسية كلها : التحكم في

---

386 ـ أفلاطون : الدفاع ، ٢٨ هـ، ص ١٤٣.

387 ـ ثيوكاريس كيسيديس : المرجع السابق ، ص ٢١٢.

388 ـ ول ديورانت: قصة الحضارة ، ج١، م١، ترجمة: د/ محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، ط٣، ١٩٦٨، ص ٢٢٧.

389 - Xenophon : Mem. B4, Ch.8, 11, p. 151.

390 - K. Jaspers: Socrates ....., p. 18.

الذات، الاعتدال والاستقامة والانصاف والنزاهة واحتقار القيم المادية."[٣٩١]

وقد أغرى التشابه الكبير بين سقراط وبين يسوع المسيح والاعجاب الشديد الذي تملك آباء الكنيسة الأوائل بشخصية سقراط مؤلفاً مثل "بول جوتش" إلي أن يكرس كتاباً بأكمله لعقد مقارنة تفصيلية بين الشخصيتين متوسعا في إبراز أوجه التشابه والاختلاف بينهما. فمن أوجه التشابه بينهما أن الإثنين كانا فقيرين ، ولم يعطيا المال كبير أهمية ، كما هاجم كلاهما الحكمة المتوارثة والسلطات الدينية الفاسدة ، وقد اتبعهما الأتباع والحواريون ، كما أنهما ألبا عليهما أعداء بارزين تكاتفوا من أجل القضاء عليهما ، وأخيرا أدين كلاهما بالموت رغم براءتهما ، حوكم عليهما بالموت من أجل الحقيقة وفداءاً لها . أما أوجه الاختلاف فعلى رأسها أنه بينما وقف سقراط موقفا نقدياً من هوميروس وهزيود في أشعارهما الدينية الموروثة ، كان موقف يسوع من العهد القديم موقف التأييد التام. ثانياً أن الموت كان يهم يسوع أكثر بكثير مما كان يهم سقراط، فهناك مركزية للموت في قصة يسوع فهو الذي يضفي المعنى على حياة المسيح ورسالته، في حين أن معنى ودلالة حياة سقراط يكمن في انقطاعه للفلسفة وليس في حادثة موته.[٣٩٢] أما سؤال : من الذي اثر في الثاني سقراط أم يسوع؟؟ فكانت إجابة "جوتش" أن يسوعا قد أثر في شخصية سقراط أكثر بكثير من كون شهرة يسوع قد أثر فيها بواسطة سقراط ، رغم أن يسوع يأتي بعد سقرا تاريخياً. فمن المرجح أن النزوع الذي لدينا إلي أن نرى في موت سقراط ملمحا دالاً على الاستشهاد قد أون بصلب يسوع ، وقد صور بواسطة القراء المسيحيين في لغة القداسة . ومن المحتمل كذلك أن الرواية التاريخية الغريبة والتي تذكر أن سقراط كان صامتا في محاكمته رواية متأثرة بعض الشيء بالعروض الواردة في الإنجيل عن آلام يسوع خاصة أنها لم تظهر إلا بعد زوج من القرون عقب المسيح.[٣٩٣] وينتهي "جوتش" إلي نتيجة تقول أنه لا يجد في سقراط إيماناً مسيحياً وإنما ميلاً وحنينا تجاه الإله يشترك في مساحة عظيمة مع تجربة الإيمان المسيحي.[٣٩٤]

لقد كان سقراط صاحب رسالة دينية ، وكان شاعراً بها، وأنها تكليف من الإله، وكان على يقين من دعوته مثله في ذلك مثل الأنبياء. ولكنه كان مختلفا عنهم في أنه ليس لديه شيء لكي يعلنه للناس، فلم يختره أي إله ليبلغ الناس ما يأمر به. لقد تمثلت رسالته ــ كما يقول جاسبرز ــ في أن يبحث عن الحقيقة في صحبة الناس، إنه هو نفسه إنسان وسط البشر، رسالته أن يتسأل ويبحث دون تراخي، أن يطرق كل مكان خفي، يطلب التفكير والتساؤل والاختبار وبهذا الشكل يرى الإنسان ذاته الحقة.[٣٩٥]

---

391 ـ فرنسيس وولف : سقراط ، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٩- ص٢١ .

392 - P. W.Gooch: Reflections on Jesus and Socrates, Yale University press, New Haven 1996, pp.14-16

393 - Ibid, p.p.14-15.

394 - Ibid, p.18.

395 - K. Jaspers: Op Cit, p.6.

الخاتمة

وبعد أن انتهينا من استعراض تفاصيل فضيلة التقوى لدي سقراط ، وما قام به من تطبيق سلوكي لهذه الفضيلة على تفاصيل حياته جاء دور التقييم : فما رأينا الفكري فيما قدمه سقراط في هذا المجال؟؟

سبق أن رأينا في صفحات البحث أن سقراط لم يكن ملحداً ولا مفكراً تنويرياً قاد ثورة تغيير جذرية على الديانة التقليدية ، بل كان مجرد مجدد في العقيدة أبقى في فكره على بعض الجوانب الدينية التقليدية مثل: الإيمان بالنبوءات وصدق العرافين ، وتقديم الصلوات والقرابين المألوفة لآلهة المدينة ، وجدد في الوقت نفسه بعض الجوانب فيها مثل تأكيده على وحدانية الإله وتنزهه عن الصفات الدنيئة أخلاقياً ، وكمال علمه وقدرته ، وشمول العناية الإلهية للعالم أجمع ، وتمركزها حول الإنسان.

ولكن رغم ذلك فإن الاعجاب لا يزال يتملكنا بسقراط في تصوره السابق للتقوى الدينية بنفس القدر الذي يتملكنا به مذهبه الأخلاقي، فهناك جوانب عظيمة في التقوى السقراطية نستطيع أن نضع أيدينا عليها بسهولة :

وأولها أن سقراط استطاع في تصوره هذا أن يحقق المعادلة الصعبة بين العقل الحر المنطلق وبين الإيمان الديني الملتزم ، وكأنه قد بذل أول محاولة في تاريخ الفلسفة عامة ، وربما المحاولة الوحيدة في تاريخ الفلسفة اليونانية خاصة للتوفيق بين العقل والإيمان ، أو بين الفلسفة والدين.

وثانيها هذه الجوانب من العظمة أن سقراط نجح في أن يقدم صورة ناصعة من التاسمح الديني ، وحارب اشد ما حارب التعصب الديني البغيض ، فلم يكن المهم لديه الآلهة أو الدين الذي تؤمن به لتكون على إيمان وتقوى وغيرك على كفر وإلحاد ، بل المهم لديه معاملاتك الخيرة مع الأخرين . المهم إلتزامك بالفضيلة وحبك للأخرين وتمسكك بالسلوكيات القويمة هذا هو المحك الواجب الاحتكام إليه في الحكم على أحد ما بالإيمان أو الكفر، فليس الدين في العبادات بل في المعاملات.

الجانب الثالث للعظمة يتمثل في اتساق سقراط مع نفسه في تقواه ، فلم يكن يعيش حالة الشيزوفرينا الفكرية بين ما يؤمن به ويعتقده وبين ما يفعله بل كانت أفعاله ترجمة صادقة لأفكاره، اعتنق التقوى عقيدة في عقله وطبقها على سلوكياته، لذلك عاش فلسفته وفلسف حياته.

أما الجانب الرابع للعظمة فيما يخص التقوى السقراطية أن سقراط في تصوره هذا اعتبر المعرفة الأخلاقية الطريق الذي يقود حتما إلي معرفة الإله. فلن يستطيع الإنسان أن يدنو من الإله إلا عندما تكون لديه نفس طاهرة غير منشغلة بالشهوات الأرضية، وكأن لسان حاله يقول: نقى قلبك من شوائب الدنيا ، طهره من رذائل الشهوة وسوف تجد الإله قائما فيه، لا تبحث عن الإله في الخارج ، بل إبحث عنه في داخلك تجده حتما.

ولكن إذا كان سقراط قد نجح في أداء هذه الرسالة الاصلاحية الدينية التي كلفه بهـــا الإله فقد كُتب عليه أن يلقي المصير المشئوم نفسه الذي لقيه كل مصلح ومجدد في العقيدة الدينية في كل زمان ومكان، كان ينبغي أن يُتهم بالالحاد وافساد المجتمع، وأن يُحكم عليه بالموت ؛ إذ أن وقائع تاريخ الإنسانية تشهد بأن المجتمعات المختلفة نـــادراً مـــا تفتح أزرعها لاحتضان المبتدعين الدينين ، أو تتقبل اصلاحاتهم الدينية ، وجـــاء النصيب الذي لحق بسقراط صورة معبرة عن هذا الموقف لينضم سقراط بذلك إلي طابور طويل ـــ وسوف يطول أكثر ـــ من المصلحين الدينين الشهداء.